تفسير سورة الروم

قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ الرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ
سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ ۗ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ
وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ
الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا
يَعْلَمُونَ ﴿٦﴾ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾
أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ
وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ لَكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟
فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً
وَأَثَارُوا۟ الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ ۖ
فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾ ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ
الَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ السُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَكَانُوا۟ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ ﴿١٠﴾﴾
[الروم: ١-١٠].

س: وضِّحْ معنى ما يلي:
﴿أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ - غَلَبِهِمۡ - بِضۡعِ سِنِينَ - ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا - غَٰفِلُونَ - بِٱلۡحَقِّ - وَأَجَلٖ مُّسَمّٗى - بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ - لَكَٰفِرُونَ - عَٰقِبَةُ - وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ - وَعَمَرُوهَآ - بِٱلۡبَيِّنَٰتِ - أَسَٰٓـُٔواْ - ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
﴿أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾	أقرب الأرض (قيل إلى العرب، وقيل إلى الفرس)
﴿غَلَبِهِمۡ﴾	هزيمتهم
﴿بِضۡعِ سِنِينَ﴾	البضع ما بين الثلاثة إلى العشرة، وقيل إلى التسع
﴿ظَٰهِرٗا مِّنَ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾	أمور الدنيا الظاهرة
﴿غَٰفِلُونَ﴾	تاركون– ساهون
﴿بِٱلۡحَقِّ﴾	للحق – لمجازاة المحسن وعقاب المسيء – لعبادته وحده لا شريك له
﴿وَأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾	أجل محددٌ تنتهي عنده السموات والأرض
﴿بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ﴾	بلقاء الله يوم القيامة
﴿لَكَٰفِرُونَ﴾	لجاحدون – منكرون
﴿عَٰقِبَةُ﴾	آخر أمرهم
﴿وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾	إثارة الأرض تقليبها للزراعة وكذا حفرها وتغيير هيئتها عمومًا

﴿وَعَمَرُوهَآ﴾	أنشأوا فيها المساكن والبيوت
﴿بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾	بالحجج القاطعات الدالة على صدق الرسل
﴿أَسَـٰٓـُٔوا۟﴾	فعلوا ما يسيء إليهم، وذلك بشركهم بالله
﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾	الجزاء الأسوأ وهو النار والعياذ بالله



س: هل صح لقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ...﴾ الآية سبب نزول؟

ج: كسببٍ نزول صحيح صريح لم أقف لكن انظر ما سيرد في السؤال الآتي إن شاء الله.



س: اذكر بعض الوارد من الآثار في تفسير قوله تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾؟

ج: من ذلك ما ورد عند الإمام أحمد وغيره من طريق حَبِيبِ بْنِ أَبِي عَمْرَةَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ قَالَ: غُلِبَتْ وَغَلَبَتْ. قَالَ: كَانَ الْمُشْرِكُونَ يُحِبُّونَ أَنْ يَظْهَرَ أَهْلُ فَارِسَ عَلَى الرُّومِ؛ لِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ أَوْثَانٍ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ أَنْ تَظْهَرَ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ؛ لِأَنَّهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، فَذُكِرَ ذَلِكَ لِأَبِي بَكْرٍ فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ سَيَغْلِبُونَ**». فَذَكَرَهُ أَبُو بَكْرٍ لَهُمْ فَقَالُوا: اجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ أَجَلًا، فَإِنْ ظَهَرْنَا كَانَ لَنَا كَذَا وَكَذَا، وَإِنْ ظَهَرْتُمْ كَانَ لَكُمْ كَذَا وَكَذَا. فَجَعَلَ أَجَلًا خَمْسَ سِنِينَ، فَلَمْ يَظْهَرُوا، فَذَكَرَ ذَلِكَ أَبُو بَكر لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**أَلَا جَعَلْتَهُ إِلَى دُونِ** -أُرَاهُ قَالَ- **الْعَشْرِ**» قَالَ سَعِيد بن جبير: الْبِضْعُ مَا دُونَ الْعَشْرِ. ثُمَّ ظَهَرَتِ الرُّومُ بَعْدُ، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ

أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾[(١)].

وهذا الأثر في الجملة صحيح وله طرق كثيرة تشهد لكثير من معناه، أوردها الطبري وابن كثير وغيرهما.

أورد منها ما يلي:

ما أورده الطبري[(٢)] من طريق عبيد الله، عن ابن عباس، قال: لما نزلت ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ ...﴾ الآية، ناحب أبو بكر قريشًا، ثم أتى النبيّ ﷺ، فقال له: إني قد ناحبتهم، فقال له النبيّ ﷺ: «**هَلا احْتَطْتَ، فإنَّ البِضْع ما بينَ الثلاثِ إلى التِّسْعِ**». قال الجمحي: المناحبة: المراهنة، وذلك قبل أن يكون تحريم ذلك.

وأخرج البخاري ومسلم[(٣)] من حديث ابن مسعود رضي الله عنه قال: خمسٌ قد مضين: الدخان، واللزام، والبطشة، والقمر، والروم.

وعند الطبري[(٤)] أيضًا من حديث ابن مسعود، قال: قد مضى ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾.

وأخرج الطبري بما هو صحيح لشواهده[(٥)] من حديث ابن مسعود قال: كانت فارس ظاهرة على الروم، وكان المشركون يحبون أن تظهر فارس على

---

(١) أحمد (١/ ٢٧٦)، والترمذي (٣١٩٣)، والنسائي (١١٣٨٩)، والطبري (٢٧٨٦٥) وغيرهم – وهو صحيح وله شواهد كثيرة.

(٢) الطبري (٢٧٨٦٦)، وهو شاهد لما قبله.

(٣) البخاري (٤٧٦٧)، ومسلم (٢٧٩٨).

(٤) هو صحيح، عند الطبري (٢٧٨٧٠).

(٥) السند به بعض الضعف لكن لأصله شواهد يصح بها.

الروم، وكان المسلمون يحبون أن تظهر الروم على فارس؛ لأنهم أهل كتاب، وهم أقرب إلى دينهم، فلما نزلت: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ...﴾ إلى ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾ قالوا: يا أبا بكر، إن صاحبك يقول: إن الروم تظهر على فارس في بضع سنين، قال: صدق. قالوا: هل لك أن نقامرك؟ فبايعوه على أربع قلائص إلى سبع سنين، فمضت السبع ولم يكن شيء، ففرح المشركون بذلك، وشُقّ على المسلمين، فذكروا ذلك للنبيّ ﷺ: فقال: «**مَا بِضْعُ سِنِينَ عِنْدَكُمْ؟**» قالوا: دون العشر. قال: «**اذْهَبْ، فَزَايِدْهُمْ وازْدَدْ سَنَتَيْن**» قال: فما مضت السنتان حتى جاءت الركبان بظهور الروم على فارس، ففرح المسلمون بذلك، فأنزل الله: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ...﴾ إلى قوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ وَعۡدَهُۥ﴾.

ومن الشواهد لأصل المعنى ما أورده ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ وعزاه لابن أبي حاتم من حديث البراء قال: لما نزلت: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ﴾، قال المشركون لأبي بكر: ألا ترى إلى ما يقول صاحبك؟ يزعم أن الروم تغلب فارس. قال: «**صدق صاحبي**». قالوا: هل لك أن نخاطرك؟ فجعل بينه وبينهم أجلًا فحلَّ الأجل قبل أن تغلب الرومُ فارسَ، فبلغ ذلك النبي ﷺ فساءه ذلك وكرهه، وقال لأبي بكر: «**ما دعاك إلى هذا؟**» قال: تصديقًا لله ولرسوله. فقال: «**تَعَرَّض لهم وأعظم الخَطَرَ واجعله إلى بضع سنين**». فأتاهم أبو بكر فقال لهم: هل لكم في العود، فإن العود أحمد؟ قالوا: نعم. فلم تمض تلك السنون حتى غلبت الروم فارسَ، وربطوا خيولهم بالمدائن، وبنوا الرومية، فجاء به أبو بكر إلى النبي ﷺ فقال: هذا السحت، قال: «**تصدق به**».

وما أورده الترمذي[(١)] من حديث نِيَارِ بْنِ مُكْرَمٍ الْأَسْلَمِيِّ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾، وَكَانَتْ فَارِسُ يَوْمَ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قَاهِرِينَ لِلرُّومِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ يُحِبُّونَ ظُهُورَ الرُّومِ عَلَيْهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ أَهْلُ كِتَابٍ، وَفِي ذَلِكَ قَوْلُ اللهِ تَعَالَى: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ وَكَانَتْ قُرَيْشٌ تُحِبُّ ظُهُورَ فَارِسَ؛ لِأَنَّهُمْ وَإِيَّاهُمْ لَيْسُوا بِأَهْلِ كِتَابٍ وَلَا إِيمَانٍ بِبَعْثٍ، فَلَمَّا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ؛ خَرَجَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ يَصِيحُ فِي نَوَاحِي مَكَّةَ ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾ قَالَ: نَاسٌ مِنْ قُرَيْشٍ لِأَبِي بَكْرٍ: فَذَلِكَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ، زَعَمَ صَاحِبُكَ أَنَّ الرُّومَ سَتَغْلِبُ فَارِسَ فِي بِضْعِ سِنِينَ أَفَلَا نُرَاهِنُكَ عَلَى ذَلِكَ؟ قَالَ: بَلَى - وَذَلِكَ قَبْلَ تَحْرِيمِ الرِّهَانِ- فَارْتَهَنَ أَبُو بَكْرٍ وَالْمُشْرِكُونَ وَتَوَاضَعُوا الرِّهَانَ، وَقَالُوا لِأَبِي بَكْرٍ: كَمْ تَجْعَلُ الْبِضْعُ؟ ثَلَاثُ سِنِينَ إِلَى تِسْعِ سِنِينَ فَسَمِّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ وَسَطًا تَنْتَهِي إِلَيْهِ. قَالَ: فَسَمَّوْا بَيْنَهُمْ سِتَّ سِنِينَ. قَالَ: فَمَضَتِ السِّتُّ سِنِينَ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرُوا فَأَخَذَ الْمُشْرِكُونَ رَهْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا دَخَلَتِ السَّنَةُ السَّابِعَةُ ظَهَرَتِ الرُّومُ عَلَى فَارِسَ، فَعَابَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى أَبِي بَكْرٍ تَسْمِيَةَ سِتِّ سِنِينَ. قَالَ: لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ: ﴿فِى بِضْعِ سِنِينَ﴾. قَالَ: وَأَسْلَمَ عِنْدَ ذَلِكَ نَاسٌ كَثِيرٌ.

وثمَّ طرق مرسلة، منها ما أخرجه الطبري بسندٍ حسن عن قتادة، ولكنه مرسل كما هو معلوم، مراسيل قتادة ضعيفة، لكن هنا في الشواهد، قال قتادة: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ قال: غلبتهم فارس على أدنى الشام ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ

(١) الترمذي (٣١٩٤)، وفي سنده عبد الرحمن بن أبي الزناد متكلم فيه، لكني أوردته في الشواهد.

غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ ...﴾ الآية، قال: لما أنزل الله هؤلاء الآيات صدّق المسلمون ربهم، وعلموا أن الروم سيظهرون على فارس، فاقتمروا هم والمشركون خمس قلائص خمس قلائص، وأجلوا بينهم خمس سنين، فولي قمار المسلمين أبو بكر رضي الله عنه، وولي قمار المشركين أُبيّ بن خلف، وذلك قبل أن ينهى عن القمار، فحل الأجل، ولم يظهر الروم على فارس، وسأل المشركون قمارهم، فذكر ذلك أصحاب النبيّ للنبي ﷺ قال: «**لَمْ تكُونُوا أَحِقَّاءَ أَنْ تُؤَجِّلُوا دُونَ العَشْرِ، فإنَّ البِضْعَ ما بينَ الثلاثِ إلى العَشْرِ، وَزَايِدوهُمْ فِي القِمار، وَمادُّوهُمْ فِي الأَجَلِ**»، ففعلوا ذلك، فأظهر الله الروم على فارس عند رأس البِضْع سنينَ من قمارهم الأوّل، وكان ذلك مرجعه من الحديبية[1]، ففرح المسلمون بصلحهم الذي كان، وبظهور أهل الكتاب على المجوس، وكان ذلك مما شدّد الله به الإسلام وهو قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ...﴾ الآية.

وأخرج الطبري بسندٍ صحيح[2] عن الشعبيّ في قوله: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ...﴾ إلى قوله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ قال: كان النبيّ ﷺ أخبر الناس بمكة أن الروم ستغلب، قال: فنزل القرآن بذلك، قال: وكان المسلمون يحبون ظهور الروم على فارس؛ لأنهم أهل الكتاب.

وأورد الطبري بسندٍ صحيح إلى ابن زيد (ولكنه مرسل ضعيف) **قال ابن زيد:**

في قوله: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾ قال: أدنى الأرض: الشأم، ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ قال: كانت فارس قد غلبت الروم،

(١) في ذلك ضعف ونظر.
(٢) لكنه مرسل أيضًا.

ثم أديل الروم على فارس، وذُكر أن رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ الرُّوم سَتَغْلِبُ فارِسًا**»، فقال المشركون: هذا مما يتخرّص محمد، فقال أبو بكر: تناحبونني؟- والمناحبة: المجاعلة- قالوا: نعم. فناحبهم أبو بكر، فجعل السنين أربعا أو خمسا، ثم جاء إلى النبي ﷺ، فقال رسول ﷺ: «**إنَّ الْبِضْعَ فِيمَا بَيْنَ الثَّلاثِ إِلَى التِّسْعِ، فارْجعْ إلى القَوْمِ، فَزِدْ فِي المُناحَبَةِ**»، فرجع إليهم. قالوا: فناحبهم فزاد. قال: فغَلبت الروم فارسا، فذلك قول الله: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ﴾ يوم أديلت الروم على فارس.

وهناك آثار أخر وأحاديث أخر، ولا يكاد يخلو منها سند من مقال لكن القدر المشترك في هذه المتون يصح بلا شك وسياق الآية تقتضي تصحيح كثير منها، والله أعلم.



س: ما المراد بقوله تعالى: ﴿أَدْنَى ٱلْأَرْضِ﴾؟

ج: أما قوله تعالى: ﴿أَدْنَى﴾ فمعناه أقرب فقيل: إن المراد أقرب أرض الروم من بلاد فارس، وهي بلاد الشام، وقيل: أدنى الأرض أقرب الأرض أرض الروم إلى بلاد العرب، وهي بلاد الشام أيضًا.



س: قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُۚ﴾ قبل ماذا وبعد ماذا؟

ج: قال فريق من أهل العلم من قبل نصر فارس على الروم، ومن بعد نصر الروم على فارس، وقيل: المراد لله الأمر في كل وقت وحين وهو الذي يدبر الأمر سبحانه ويفعل ما يريد، وينصر من يشاء، ويخذل من أراد. والله أعلم.



س: وضح المعنى الإجمالي لقوله تعالى: ﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٤ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ٥﴾.

ج: يخبر الله سبحانه وتعالى أن الروم قد غُلبت، غلبتها فارسُ، وذلك في أقرب بلاد الروم إلى العرب، وقيل: إلى بلاد الفرس، وكانت هذه البلاد تحت إمرة ملك الروم، وهي بلاد الشام فأخبر الله أن الروم غلبت هنالك، وأخبر الله ﷻ أن الروم، وإن غُلبت الآن، لكنها ستغلب فيما بعد في بضع سنين، وهو من الثلاث إلى العشر ففي خلال هذه السنوات ستغلب الرومُ فارس ولله سبحانه الأمر من قبل ومن بعد من قبل هزيمة الروم ونصر الفرس، ومن بعد ذلك أيضًا، فهو سبحانه يفعل ما يريد، ويوم أن ينتصر الروم على فارس يفرح أهل الإيمان لأن الروم أهل كتاب أما الفرس فهم أهل شرك ووثنية وعبادة النيران، وإن كانوا كلهم على ضلال آنذاك لكن ثمَّ ضلال أخف من ضلال، فعلى كل يفرح المؤمنون بمن هو منهم أقرب، وهم الروم، فالروم أقرب لأهل الإسلام من المجوس، وليعلم أن الله هو الذي ينصر من يشاء ويخذل من يشاء وهو العزيز الذي لا يُغلب، بل يُمض أمره في خلقه، ومع ذلك فهو رحيم بالعباد وبنحو هذا قال عدد من أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ بضم الغين؛ لإجماع الحجة من القرّاء عليه. فإذا كان ذلك كذلك، فتأويل الكلام: غلبت فارس الروم ﴿فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ من أرض الشام إلى أرض فارس ﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ يقول: والروم من بعد

غلبة فارس إياهم ﴿سَيَغْلِبُونَ﴾ فارس ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ﴾ غلبتهم فارس ﴿وَمِنْ بَعْدُ﴾ غلبتهم إياها، يقضي في خلقه ما يشاء، ويحكم ما يريد، ويظهر من شاء منهم على من أحبّ إظهاره عليه ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ يقول: ويوم يغلب الروم فارس يفرح المؤمنون بالله ورسوله بنصر الله إياهم على المشركين، ونُصْرة الروم على فارس ﴿يَنصُرُ﴾ اللهُ تعالى ذكره ﴿مَن يَشَاءُ﴾ من خلقه، على من يشاء، وهو نُصرة المؤمنين على المشركين ببدر، ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ﴾ يقول: والله الشديد في انتقامه من أعدائه، لا يمنعه من ذلك مانع، ولا يحول بينه وبينه حائل، ﴿الرَّحِيمُ﴾ بمن تاب من خلقه، وراجع طاعته أن يعذّبه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ﴾ أي: من قبل ذلك ومن بعده، فبني على الضم لما قُطع المضاف، وهو قوله: ﴿قَبْلُ﴾ عن الإضافة، ونُويت.

﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ﴾ أي: للروم أصحاب قيصر ملك الشام، على فارس أصحاب كسرى، وهم المجوس.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ:

لما انتصرت فارس على الروم ساء ذلك المؤمنين، فلما انتصرت الروم على فارس فرح المؤمنون بذلك؛ لأن الروم أهل كتاب في الجملة، فهم أقرب إلى المؤمنين من المجوس، كما قال تعالى: ﴿۞ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا ۖ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝٨٢ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ ۖ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا

فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴾ [المائدة: ٨٢، ٨٣]، وقال تعالى هاهنا: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ ٱللَّهِ ۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴾.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ أي: في انتصاره وانتقامه من أعدائه، ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بعباده المؤمنين.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ﴾ أخبر تعالى بانفراده بالقدر وأن ما في العالم من غلبة وغيرها إنما هي منه وبإرادته وقدرته فقال: ﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ﴾ أي إنفاذ الأحكام.

﴿مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ ۚ﴾ أي: من قبل هذه الغلبة ومن بعدها وقيل : من قبل كل شيء ومن بعد كل شيء.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ج: قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وعد الله جلّ ثناؤه، وعد أن الروم ستغلب فارس من بعد غلبة فارس لهم، ونصب ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ على المصدر من قوله: ﴿وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ لأن ذلك وعد من الله لهم أنهم سيغلبون، فكأنه قال: وعد الله ذلك المؤمنين وعدا، ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ يقول تعالى ذكره: إن الله يفي بوعده للمؤمنين أن الروم سيغلبون فارس، لا يخلفهم وعده ذلك؛ لأنه ليس

في مواعيده خلف ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول: ولكنّ أكثر قريش الذين يكذّبون بأن الله منجز وعده المؤمنين، من أن الروم تغلب فارس، لا يعلمون أن ذلك كذلك، وأنه لا يجوز أن يكون في وعد الله إخلاف.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ أي: هذا الذي أخبرناك به -يا محمد- من أنا سننصر الروم على فارس، وعد من الله حق، وخَبَر صدق لا يخلف، ولا بد من كونه ووقوعه؛ لأن الله قد جرت سنته أن ينصر أقرب الطائفتين المقتتلتين إلى الحق، ويجعل لها العاقبة، ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: بحكم الله في كونه وأفعاله المحكمة الجارية على وفق العدل.



أهل الكفر وعلمهم بالدنيا

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ ۝٧﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – أن أهل الكفر علمهم بالحياة الدنيا وما تصلح به معايشهم، أمرٌ معروف عندهم فهم متقنون المعرفة لدنياهم، أمور الدنيا هم فيها بارعون، أما الآخرة فهم منها في غفلة لا يدرون شيئًا عنها، ولا يوقنون ولا يعملون لها ولا يلتفتون إليها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: يعلم هؤلاء المكذّبون بحقيقة خبر الله أن الروم ستغلب فارس، ظاهرا من حياتهم الدنيا، وتدبير معايشهم فيها، وما يصلحهم، وهم عن أمر آخرتهم، وما لهم فيه النجاة من عقاب الله هنالك، غافلون، لا يفكرون فيه.

وأورد الطبري من طريقين عن ابن عباس قال: العليمون ظاهرًا من الحياة الدنيا، قال: متى يزرعون ومتى يغرسون.

وأورد الطبري بإسناد صحيح عن إبراهيم قال: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ قال: معايشهم وما يُصلحهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْءَاخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ أي: أكثر الناس ليس لهم علم إلا بالدنيا وأكسابها وشؤونها وما فيها، فهم حذاق أذكياء في تحصيلها ووجوه مكاسبها، وهم غافلون عما ينفعهم في الدار الآخرة، كأن أحدهم مُغَفّل لا ذهن له ولا فكرة.

قال الحسن البصري: والله لَبَلَغَ من أحدهم بدنياه أنه يقلب الدرهم على

ظفره، فيخبرك بوزنه، وما يحسن أن يصلي.

وقال ابن عباس في قوله: ﴿ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ ﴾ يعني: الكفار، يعرفون عمران الدنيا، وهم في أمر الدين جهال.

قلت: ويدخل في معنى الآية الكريمة والفارق بين الكافر والمسلم، والله أعلم، ما صار إليه حالُ الكثيرين ممن حملوا عظيم الشهادات الدنيوية كالدكتوراة وغيرها، ومن ذلك هم من أجهل الناس بالدين، فثمَّ قوم حريصون على الدنيا وحطامها الفاني الزائل، وهم بعيدون أشد البعد عن الاستقامة وعن معرفة شيء عن الشريعة، عياذًا بالله من الزيغ والعمى.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

تنبيه

اعلم أنه يجب على كل مسلم في هذا الزمان أن يتدبّر آية «الروم» هذه تدبّرًا كثيرًا، ويبيّن ما دلّت عليه لكل من استطاع بيانه له من الناس.

وإيضاح ذلك أن من أعظم فتن آخر الزمان التي ابتلى الله بها ضعاف العقول من المسلمين، شدّة إتقان الإفرنج لأعمال الحياة الدنيا، ومهارتهم فيها على كثرتها، واختلاف أنواعها مع عجز المسلمين عن ذلك، فظنوا أن من قدر على تلك الأعمال أنه على الحق، وأن من عجز عنها متخلّف وليس على الحق، وهذا جهل فاحش، وغلط فادح. وفي هذه الآية الكريمة إيضاح لهذه الفتنة، وتخفيف لشأنها أنزله الله في كتابه قبل وقوعها بأزمان كثيرة، فسبحان الحكيم الخبير ما أعلمه، وما أعظمه، وما أحسن تعليمه.

فقد أوضح جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن ﴿أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾، ويدخل فيهم أصحاب هذه العلوم الدنيوية دخولاً أوليًّا، فقد نفى عنهم جلَّ وعلا اسم العلم بمعناه الصحيح الكامل، لأنهم لا يعلمون شيئًا عمّن خلقهم،

فأبرزهم من العدم إلى الوجود، ورزقهم، وسوف يميتهم، ثم يحييهم، ثم يجازيهم على أعمالهم، ولم يعلموا شيئًا عن مصيرهم الأخير الذي يقيمون فيه إقامة أبديّة في عذاب فظيع دائم، ومن غفل عن جميع هذا فليس معدودًا من جنس من يعلم؛ كما دلّت عليه الآيات القرآنيّة المذكورة، ثم لما نفى عنهم جلَّ وعلا اسم العلم بمعناه الصحيح الكامل، أثبت لهم نوعًا من العلم في غاية الحقارة بالنسبة إلى غيره.

وعاب ذلك النوع المذكور من العلم، بعيبين عظيمين:

أحدهما: قلّته وضيق مجاله، لأنه لا يجاوز ﴿ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾، والعلم المقصور على ظاهر من الحياة الدنيا في غاية الحقارة، وضيق المجال بالنسبة إلى العلم بخالق السماوات والأرض جلَّ وعلا، والعلم بأوامره ونواهيه، وبما يقرب عبده منه، وما يبعده عنه، وما يخلد في النعيم الأبدي والعذاب الأبدي، من أعمال الخير والشر.

والثاني منهما: هو دناءة هدف ذلك العلم، وعدم نبل غايته، لأنه لا يتجاوز الحياة الدنيا، وهي سريعة الانقطاع والزوال، ويكفيك من تحقير هذا العلم الدنيوي أن أجود أوجه الإعراب في قوله: ﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا﴾، أنه بدل من قوله قبله ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، فهذا العلم كلا علم لحقارته.

قال الزمخشري في «الكشاف»: «وقوله: ﴿يَعْلَمُونَ﴾ بدل من قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾، وفي هذا الإبدال من النكتة أنه أبدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه، ويسد مسدّه ليعلمك أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل، وبين وجود العلم الذي لا يتجاوز الدنيا.

وقوله: ﴿ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ يفيد أن للدنيا ظاهرًا وباطنًا فظاهرها ما

يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها، والتنعّم بملاذها، وباطنها وحقيتها أنها مجاز إلى الآخرة، يتزوّد منها إليها بالطاعة والأعمال الصالحة، وفي تنكير الظاهر أنهم لا يعلمون إلا ظاهرًا واحدًا من ظواهرها. و﴿هُمْ﴾ الثانية يجوز أن يكون مبتدأ، و﴿غَٰفِلُونَ﴾ خبره، والجملة خبر ﴿هُمْ﴾ الأولى، وأن يكون تكريرًا للأولى، و﴿غَٰفِلُونَ﴾ خبر الأولى، وأية كانت فذكرها مناد على أنهم معدن الغفلة عن الآخرة، ومقرّها، ومحلّها وأنها منهم تنبع وإليهم ترجع، انتهى كلام صاحب «الكشاف».

وقال غيره: وفي تنكير قوله: ﴿ظَٰهِرًا﴾ تقليل لمعلومهم، وتقليله يقربه من النفي، حتى يطابق المبدل منه، اهـ، ووجهه ظاهر.

واعلم أن المسلمين يجب عليهم تعلّم هذه العلوم الدنيوية، كما أوضحنا ذلك غاية الإيضاح في سورة «مريم»، في الكلام على قوله تعالى: ﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٨]، وهذه العلوم الدنيوية التي بيّنا حقارتها بالنسبة إلى ما غفل عنه أصحابها الكفار، إذا تعلّمها المسلمون، وكان كل من تعليمها واستعمالها مطابقًا لما أمر الله به على لسان نبيّه ﷺ، كانت من أشرف العلوم وأنفعها؛ لأنها يستعان بها على إعلاء كلمة الله ومرضاته جلَّ وعلا، وإصلاح الدنيا والآخرة، فلا عيب فيها إذن؛ كما قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا۟ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فالعمل في إعداد المستطاع من القوة امتثالاً لأمر الله تعالى وسعيًا في مرضاته، وإعلاء كلمته ليس من جنس علم الكفار الغافلين عن الآخرة كما ترى، والآيات بمثل ذلك كثيرة، والعلم عند الله تعالى.

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِم مَّا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – أو لم يتفكر هؤلاء المكذبون بالبعث الجاحدون وحدانية الله ﷻ، المقيمون على شركهم، أولم يتفكر هؤلاء وغيرهم في أنفسهم، وما فيها من العبر والآيات والدلالات على وحدانية الله ﷻ، وذلك أنهم خلقوا من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة ثم أخرجوا من بطون الأمهات أطفالًا ثم قوى عودهم واشتد ساعدهم، ثم بعد ذلك تسربت إليهم الشيخوخة ثم الموت؟!!

وكذا أولم يتفكروا فيما يحل بهم من الأمراض والأحزان لا يملكون لها دفعًا.

كذا أولم يتفكروا في طوارق الليل والنهار وضحكهم وبكائهم وحزنهم وهمهم وغمهم!!

وكذا أولم يتفكروا في أنفسهم فهذا طويل وهذا قصير وهذا غبيٌّ وقليل الفهم، وهذا في غاية من الذكاء، وهذا بين هؤلاء وأولئك.

وكذا فهذا ماكرٌ، وذاك ساذج وهذا وسيمٌ ووضيءٌ، وذاك دميم شديد الدمامة، ثم كل ذلك ينتهي إلى غير ذلك من الآيات التي هي في الأنفس إذ الله قال: ﴿وَفِي أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ أولم يتفكر هؤلاء في خلق السموات والأرض وما بينهما فإن الله ما خلقهما إلا بالحق، للثواب والعقاب لإثابة المطيع على طاعته والعاصي على عصيانه إلا أن يعفو الله ويصفح، وكذا ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا للاستدلال على وحدانية الله، لم نخلقهما

عبثًا بل خلقناهما لحكمة ولغاية، ثم إنهما ينتهيان ويزولان عند الوقت الذي حدَّده الله لزوالهما، ولكن مع ذلك كله فكثيرٌ من الناس منكرون لقاء الله يوم القيامة جاحدون ليوم القيامة أصلًا.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أولم يتفكَّر هؤلاء المكذّبون بالبعث يا محمد من قومك في خلق الله إياهم، وأنه خلقهم ولم يكونوا شيئا، ثم صرفهم أحوالا وتارات حتى صاروا رجالا فيعلموا أن الذي فعل ذلك قادر أن يعيدهم بعد فنائهم خلقا جديدا، ثم يجازي المحسن منهم بإحسانه، والمسيء بإساءته لا يظلم أحدا منهم، فيعاقبه بجرم غيره، ولا يحرم أحدا منهم جزاء عمله، لأنه العدل الذي لا يجور ﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ﴾ إلا بالعدل، وإقامة الحقّ، ﴿وَأَجَلٖ مُّسَمًّىۗ﴾ يقول: وبأجل مؤقت مسمى، إذا بلغت ذلك الوقت أفنى ذلك كله، وبدّل الأرض غير الأرض والسموات، وبرزوا لله الواحد القهَّار، وإن كثيرا من الناس بلقاء ربهم جاحدون منكرون؛ جهلا منهم بأن معادهم إلى الله بعد فنائهم، وغفلة منهم عن الآخرة.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى منبهًا على التفكر في مخلوقاته، الدالة على وجوده وانفراده بخلقها، وأنه لا إله غيره ولا رب سواه، فقال: ﴿أَوَلَمۡ يَتَفَكَّرُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۗ﴾ يعني به: النظر والتدبر والتأمل لخلق الله الأشياء من العالم العلوي والسفلي، وما بينهما من المخلوقات المتنوعة، والأجناس المختلفة، فيعلموا أنها ما خلقت سُدًى ولا باطلا بل بالحق، وأنها مؤجلة إلى أجل مسمى، وهو يوم القيامة؛ ولهذا قال: ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

﴿إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ قال الفراء: معناه إلا للحق يعني الثواب والعقاب وقيل: إلا لإقامة الحق وقيل: بالحق بالعدل وقيل: بالحكمة والمعنى متقارب وقيل: بالحق أي أنه هو الحق وللحق خلقها وهو الدلالة على توحيده وقدرته ﴿وَأَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾ أي للسماوات والأرض أجل ينتهيان إليه وهو يوم القيامة وفي هذا تنبيه على الفناء وعلى أن لكل مخلوق أجلا وعلى ثواب المحسن وعقاب المسيء وقيل: وأجل مسمى أي خلق ما خلق في وقت سماه لأن يخلق ذلك الشيء فيه ﴿وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمۡ لَكَٰفِرُونَ﴾ اللام للتوكيد والتقدير: لكافرون بلقاء ربهم على التقديم والتأخير أي لكافرون بالبعث بعد الموت وتقول: إن زيدا في الدار لجالس ولو قلت: إن زيدا لفي الدار لجالس جاز فإن قلت: إن زيدا جالس لفي الدار لم يجز لأن اللام إنما يؤتى بها توكيدا لاسم إن وخبرها وإذا جئت بهما لم يجز أن يأتي بها وكذا قلت: إن زيدا لجالس لفي الدار لم يجز.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ ٩﴾.

ج: المعنى –والله أعلم– أو لم يسافر هؤلاء المكذبون بالبعث والمشركون بالله أسفارًا فيرون مصائر من تقدمهم من البشر، وقد أهلكناهم وأفنيناهم، فها هي ديار قوم لوط التي يمرون عليها مصبحين، وبالليل أفلا يعقلون، وها هي ديار ثمود يرونها ويشاهدونها في أسفارهم، وغيرهم،

وغيرهم كعاد وفرعون، والقرى التي أهلك الله أهلها وشتت شملهم، فقد كانوا أقوى منهم بدنًا وصحة وعافية، وكانوا يثيرون الأرض يقلبونها للحراثة، والمعنى كما في الآية في شأن البقرة: ﴿تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [البقرة: ٧١]، وكما في قوله في الخيل: ﴿فَأَثَرۡنَ بِهِۦ نَقۡعٗا﴾ [العاديات: ٤] والمراد أن القوم كانوا يقلبون الأرض ويثيرونها كي يزرعوها، وكذا لاستخراج ما فيها من المعادن، ولعمارتها كذلك وإنشاء المباني والقصور فيها فعمروها أكثر مما عمرها هؤلاء، وزرعوها زراعة أحسن من زراعة هؤلاء، وشيدوا فيها القصور وجاءتهم رسلهم تأمرهم بطاعة الله وتوحيده وامتثال أمره، جاءتهم الرسل ومعهم البينات والحجج والأدلة القواطع على وحدانية الله، فلم يُجْدِ ذلك بشيء مع القوم ولم ينتفعوا بالآيات ولم يهتدوا لها فأنزل الله بهم بأسه كما قال: ﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ﴾ وما كان الله ليبخسهم من حقوقهم شيئًا ولا ينزل بهم شيئًا لا يستحقونه، بل هم الذين ظلموا أنفسهم فاستحقوا ما نالهم وأصابهم.

وهذه بعض أقوال أهل العلم:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أولم يسر هؤلاء المكذّبون بالله، الغافلون عن الآخرة من قريش في البلاد التي يسلكونها تجرا، فينظروا إلى آثار الله فيمن كان قبلهم من الأمم المكذّبة، كيف كان عاقبة أمرها في تكذيبها رسلها، فقد كانوا أشدّ منهم قوّة، ﴿وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾: يقول: واستخرجوا الأرض، وحرثوها وعمروها أكثر مما عمر هؤلاء، فأهلكهم الله بكفرهم وتكذيبهم رسلهم، فلم يقدروا على الامتناع، مع شدّة قواهم مما نزل بهم من عقاب الله، ولا نفعتهم عمارتهم

ما عمروا من الأرض، إذ ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ من الآيات، فكذّبوهم، فأحلّ الله بهم بأسه، ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ بعقابه إياهم على تكذيبهم رسله، وجحودهم آياته، ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بمعصيتهم ربهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ﴾ ببصائرهم وقلوبهم ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ وَأَثَارُواْ ٱلۡأَرۡضَ﴾ أي : قلبوها للزراعة لأن أهل مكة لم يكونوا أهل حرث قال الله تعالى : ﴿تُثِيرُ ٱلۡأَرۡضَ﴾ [البقرة : ٧١] ﴿وَعَمَرُوهَآ أَكۡثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾ أي: عمروها أولئك أكثر مما عمروها هؤلاء فلم تنفعهم عمارتهم ولا طول مدتهم ﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِۖ﴾ أي: بالمعجزات وقيل : بالأحكام فكفروا ولم يؤمنوا ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾ بأن أهلكهم بغير ذنب ولا رسل ولا حجة ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بالشرك والعصيان.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم نبههم على صدق رسله فيما جاءوا به عنه، بما أيدهم به من المعجزات، والدلالات الواضحات، من إهلاك مَنْ كفر بهم، ونجاة مَنْ صدقهم، فقال: ﴿أَوَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: بأفهامهم وعقولهم ونظرهم وسماعهم أخبار الماضين؛ ولهذا قال: ﴿فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗ﴾ أي: كانت الأمم الماضية والقرون السالفة أشد منكم- أيها المبعوث إليهم محمد ﷺ وأكثر أموالًا وأولادًا، وما أوتيتم معشار ما أوتوا، ومُكنوا في الدنيا تمكينا لم تبلغوا إليه، وعمروا فيها أعمارًا طوالًا فعمروها أكثر منكم. واستغلوها أكثر من استغلالكم، ومع هذا لما جاءتهم

رسلهم بالبينات وفرحوا بما أوتوا، أخذهم الله بذنوبهم، وما كان لهم من الله مِنْ واق، ولا حالت أموالهم ولا أولادهم بينهم وبين بأس الله، ولا دفعوا عنهم مثقال ذرة، وما كان الله ليظلمهم فيما أحل بهم من العذاب والنكال ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ أي: وإنما أوتوا من أنفسهم حيث كذبوا بآيات الله، واستهزؤوا بها، وما ذاك إلا بسبب ذنوبهم السالفة في تكذيبهم المتقدم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ ١٠﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ثم كان آخر أمر هؤلاء الذين أساءوا بشركهم بالله واستهزائهم وتكذيبهم بآيات الله، كان آخر أمرهم أن جازاهم الله أسوأ الجزاء، وذلك بإدخالهم النار يوم القيامة

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ثم كان آخر أمر من كفر من هؤلاء الذين أثاروا الأرض وعمروها، وجاءتهم رسلهم بالبينات بالله، وكذّبوا رسلهم، فأساءوا بذلك من فعلهم.

﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: يعني الخَلَّة التي هي أسوأ من فعلهم؛ أما في الدنيا، فالبوار والهلاك، وأما في الآخرة فالنار لا يخرجون منها، ولا هم يستعتبون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾: الذين أشركوا السوءَى: أي النار.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ يقول: كانت لهم السوأى، لأنهم كذّبوا في الدنيا بآيات الله، ﴿وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾. يقول: وكانوا بحجج الله وهم أنبياؤه ورسله يسخرون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال: ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُواْ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الأنعام: ١١٠]، وقوله: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓاْ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، وقال: ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩].

وعلى هذا تكون السوءى منصوبة مفعولًا لأساءوا. وقيل: بل المعنى في ذلك: ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ أي: كانت السوءى عاقبتهم؛ لأنهم كذبوا بآيات الله وكانوا بها يستهزئون. فعلى هذا تكون السوءى منصوبة خبر كان.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَـٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَـٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ السوءى فعلى من السوء تأنيث الأسوأ وهو الأقبح كما أن الحسنى تأنيث الأحسن وقيل : يعني بها هاهنا النار قاله ابن عباس ومعنى أساءوا أشركوا دل عليه أن كذبوا بآيات الله السوءى : اسم جهنم كما أن الحسنى اسم الجنة ﴿أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ﴾ أي: لأن كذبوا قاله الكسائي.



(١٨٠) أحمر

أسود

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ١١ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبۡلِسُ
ٱلۡمُجۡرِمُونَ ١٢ وَلَمۡ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمۡ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمۡ
كَٰفِرِينَ ١٣ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ ١٤ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمۡ فِي رَوۡضَةٖ يُحۡبَرُونَ ١٥ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلۡأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ١٦
فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ وَحِينَ تُصۡبِحُونَ ١٧ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلۡأَرۡضِ وَعَشِيّٗا وَحِينَ تُظۡهِرُونَ ١٨ يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ
ٱلۡحَيِّ وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ ١٩﴾.

[الروم: ١١-١٩]

س: وضِّحْ معنى ما يلي:

﴿يَبْدَؤُا -تُرْجَعُونَ -يُبْلِسُ -كَـٰفِرِينَ -رَوْضَةٍ -يُحْبَرُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿يَبْدَؤُا﴾	يُنشئ لأول مرة
﴿تُرْجَعُونَ﴾	ترجعون أحياء يوم القيامة وتلقون ربكم
﴿يُبْلِسُ﴾	ييأس – يسكت وتنقطع حجته
﴿كَـٰفِرِينَ﴾	جاحدين
﴿رَوْضَةٍ﴾	بساتين فيها نباتات بهيجة حسنة ورياحين
﴿يُحْبَرُونَ﴾	ينعمون – يكرمون – يُسرون – يتلذذون – حاضرون في العذاب يوم القيامة – قد أُحضروا



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: الله بدأ وأنشأ الخلق أول مرة، وهو سبحانه قادر على إعادتهم بعد موتهم أحياء، وسيفعل ذلك بهم وسيرجع إليه العباد يوم القيامة أحياءً.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: الله تعالى يبدأ إنشاء جميع الخلق منفردًا بإنشائه من غير شريك ولا ظهير، فيحدثه من غير شيء، بل بقدرته عَزَّ وَجَلَّ، ثم يعيد خلقًا جديدًا بعد إفنائه وإعدامه، كما بدأه خلقا سويًّا، ولم يك شيئا ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾

(١٨٢) أحمر
أسود

يقول: ثم إليه من بعد إعادتهم خلقًا جديدًا يردّون، فيحشرون لفصل القضاء بينهم و﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ أي: كما هو قادر على بَداءته فهو قادر على إعادته، ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾، أي: يوم القيامة فيجازي كل عامل بعمله.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم–: ويوم القيامة ييأس المجرمون المشركون من رحمة الله، وتنقطع محبتهم ويفتضحون ويكتئبون، ثم إن هذه الآلهة التي عبدوها في الدنيا تخلَّت عنهم ولم تشفع لهم، فكفروا بهؤلاء الآلهة يوم القيامة، وتبرءوا منهم وقالوا ما هذه بآلهة تستحق العبادة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي فيها يفصل الله بين خلقه، وينشر فيها الموتى من قبورهم، فيحشرهم إلى موقف الحساب ﴿يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ يقول: ييأس الذين أشركوا بالله، واكتسبوا في الدنيا مساوئ الأعمال من كلّ شرّ، ويكتئبون ويتندمون.

وقوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ﴾ يقول تعالى ذكره: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ لم يكن لهؤلاء المجرمين الذين وصف جلّ ثناؤه صفتهم ﴿مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾ الذين كانوا يتبعونهم، على ما دعوهم إليه من الضلالة، فيشاركونهم

في الكفر بالله، والمعاونة على أذى رسله، ﴿شُفَعَـٰٓؤُاْ﴾ يشفعون لهم عند الله، فيستنقذوهم من عذابه، ﴿وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ يقول: وكانوا بشركائهم في الضلالة والمعاونة في الدنيا على أولياء الله ﴿كَـٰفِرِينَ﴾، يجحدون ولايتهم، ويتبرّءون منهم، كما قال جلّ ثناؤه: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا﴾ [البقرة: ١٦٦-١٦٧].

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ قال ابن عباس: ييأس المجرمون.

وقال مجاهد: يفتضح المجرمون. وفي رواية: يكتئب المجرمون.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَـٰٓؤُاْ﴾ أي: ما شفعت فيهم الآلهة التي كانوا يعبدونها من دون الله، وكفروا بهم وخانوهم أحوج ما كانوا إليهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الزجاج: المبلس الساكت المنقطع في حجته اليائس من أن يهتدي إليها ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾ أي ما عبدوه من دون الله ﴿شُفَعَـٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَـٰفِرِينَ﴾ قالوا: ليسوا بآلهة فتبرؤوا منها وتبرأت منهم حسبما تقدم في غير موضع.



(١٨٤) أحمر
أسود

انقسام الخلق يوم القيامة وتميزهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾.

ج: هذا – والله أعلم-: إخبار بما يكون من أحوال الناس يوم القيامة فإنهم يتفرقون، أهل الإيمان جماعة، وأهل الكفر منعزلون عنهم، كما قال تعالى: ﴿ وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴾ [يس: ٥٩]، وكما قال تعالى: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً .. ﴾ [الواقعة: ٧] ثم ذكر الله مصير كل فريق فقال: ﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ ﴾ أي في جنة عظيمة وبستان بهيج لينعمون ويكرمون.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء الساعة التي يحشر فيها الخلق إلى الله يومئذٍ، يقول في ذلك اليوم ﴿يَتَفَرَّقُونَ﴾ يعني: يتفرّق أهل الإيمان بالله، وأهل الكفر به، فأما أهل الإيمان، فيؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وأما أهل الكفر فيؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، فهنالك يميز الله الخبيث من الطيِّب.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة في قوله: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾ قال: فرقة والله، لا اجتماع بعدها.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ يقول: وعملوا بما أمرهم الله به، وانتهوا عما نهاهم عنه ﴿فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴾ يقول: فهم في الرياحين والنباتات الملتفة، وبين أنواع الزهر في الجنان يُسرون، ويلذّذون بالسماع وطيب العيش الهنيّ، وإنما خصّ جلّ ثناؤه ذكر الروضة في

هذا الموضع؛ لأنه لم يكن عند الطرفين أحسن منظرا، ولا أطيب نشرا من الرياض، ويدل على أن ذلك كذلك قول أعشي بني ثعلبة:

مَا رَوْضَةٌ مِن رِياضِ الحُسْنِ مُعْشِبَةٌ   خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ
يُضَاحِكُ الشَّمسَ منها كَوْكَبٌ شَرِقٌ   مُؤَزَّرٌ بعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ
يَوْمًا بأَطْيَبَ مِنْهَا نَشْرَ رائحَةٍ   وَلا بأَحْسَنَ مِنْهَا إذ دَنَا الأُصُلُ

فأعلمهم بذلك تعالى، أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات من المنظر الأنيق، واللذيذ من الأرايح، والعيش الهنيّ فيما يحبون، ويسرُون به، ويغبطون عليه. و(الحبرة) عند العرب: السرور والغبطة، قال العجاج:

فالْحَمْدُ لِلهِ الَّذِي أعْطَى الحَبَرْ   مَوَالِيَ الحَقَّ إنَّ المَوْلى شَكَرْ

واختلف أهل التأويل في معنى ذلك، فقال بعضهم: معنى ذلك: فهم في روضة يكرمون.

وقال آخرون: معناه: ينعمون.

وقال آخرون: يلذذون بالسماع والغناء.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَلِقَآيِٕ ٱلْأٓخِرَةِ فَأُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾﴾.

ج: هذا بيانٌ لحال الفريق الثاني وهم أهل الكفر فأخبر الله تعالى أن هؤلاء أهل الكفر والتكذيب بآيات الله والتكذيب بالبعث بعد الموت أنهم محضرون في العذاب يوم القيامة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

(١٨٦) أحمر
أسود

يقول تعالى ذكره: وأما الذين جحدوا توحيد الله، وكذبوا رسله، وأنكروا البعث بعد الممات والنشور للدار الآخرة، فأولئك في عذاب الله محضرون، وقد أحضرهم الله إياها، فجمعهم فيها ليذوقوا العذاب الذي كانوا في الدنيا يكذّبون .



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ ﴾.

ج: ذهب بعض أهل العلم إلى أن معنى الآية الكريمة فسبحوا الله في صلاتكم التي تصلونها حين تمسون، وهي صلاة المغرب (وأضاف بعضهم العشاءإليها)، وسبحوه كذلك في صلاة الصبح، واحمدوه في هاتين الصلاتين فله ﷻ الحمد في السموات والأرض، يُحمد في السموات والأرض.

أما قوله تعالى: ﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴾ أي: وسبحوه وصلوا لله ﴿وَعَشِيًّا ﴾ قبل صلاة العصر، وحين تظهرون وقت الظهر.

ومن العلماء من ذهب إلى أن التسبيح على ظاهره، وليس المراد الصلاة قال: والمراد قولوا سبحان الله.

وذهب بعض العلماء إلى أن الله ﷻ يسبح نفسه، وهذه بعض أقوال أهل العلم في ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فسبحوا الله أيها الناس: أي صلوا له ﴿حِينَ تُمْسُونَ ﴾، وذلك صلاة المغرب، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴾، وذلك صلاة الصبح ﴿ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يقول: وله الحمد من جميع خلقه دون غيره ﴿فِي

ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ من سكانها من الملائكة، ﴿وَٱلْأَرْضِ﴾ من أهلها، من جميع أصناف خلقه فيها، ﴿وَعَشِيًّا﴾ يقول: وسَبِّحوه أيضًا عشيًّا، وذلك صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ يقول: وحين تَدْخلون في وقت الظهر.

وأورد الطبري بسندٍ صحيح عن عاصم، عن أبي رَزين، قال: سأل نافع بن الأزرق ابن عباس: هل نجد ميقات الصلوات الخمس في كتاب الله؟ قال: نعم ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ المغرب ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ الفجر ﴿وَعَشِيًّا﴾ العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ الظهر، قال: ﴿وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ﴾.

[النور: ٥٨]

وبسند فيه ليث، وهو ابن أبي سليم متكلم فيه عن ابن عباس في قوله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ...﴾ إلى قوله: ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ قال: جمعت الصلوات ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ المغرب والعشاء ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ صلاة الصبح ﴿وَعَشِيًّا﴾ صلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ صلاة الظهر.

وبسندٍ حسن عن قتادة ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾ لصلاة المغرب ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ لصلاة الصبح ﴿وَعَشِيًّا﴾ لصلاة العصر ﴿وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ صلاة الظهر أربع صلوات.

وبسندٍ صحيح عن ابن زيد، في قول الله: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ قال: ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾: صلاة المغرب، ﴿وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾: صلاة الصبح، وعشيا: صلاة العصر، وحين تظهرون: صلاة الظهر.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا تسبيح منه تعالى لنفسه المقدسة، وإرشاد لعباده إلى تسبيحه

وتحميده، في هذه الأوقات المتعاقبة الدالة على كمال قدرته وعظيم سلطانه: عند المساء، وهو إقبال الليل بظلامه، وعند الصباح، وهو إسفار النهار عن ضيائه.

ثم اعترض بحمده مناسبة للتسبيح وهو التحميد، فقال: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: هو المحمود على ما خلق في السموات والأرض.

ثم قال: ﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ فالعشاء هو: شدة الظلام، والإظهار: قوة الضياء. فسبحان خالق هذا وهذا، فالق الإصباح وجاعل الليل سكنا، كما قال: ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا﴾ [الشمس: ٣، ٤]، وقال: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١، ٢]، وقال: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى: ١، ٢]، والآيات في هذا كثيرة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ اعتراض بين الكلام بدؤوب الحمد على نعمه وآلائه وقيل: معنى وله الحمد أي الصلاة له لاختصاصها بقراءة الحمد والأول أظهر فإن الحمد لله من نوع تعظيم الله تعالى والحض على عبادته ودوام نعمته فيكون نوعًا آخر خلاف الصلاة والله أعلم وبدأ بصلاة المغرب لأن الليل يتقدم النهار وفي سورة سبحان بدأ بصلاة الظهر إذ هي أول صلاة صلاها جبريل بالنبي ﷺ. الماوردي: وخص صلاة الليل باسم التسبيح وصلاة النهار باسم الحمد لأن للإنسان في النهار متقلبًا في أحوال توجب حمد الله تعالى عليها وفي الليل على خلوة توجب تنزيه الله من الأسواء فيها فلذلك صار الحمد بالنهار أخص فسميت به صلاة النهار والتسبيح بالليل أخفى فسميت به صلاة الليل.



س: ما مدى صحة هذا الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد في مسنده بسنده إلى سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن رسول الله ﷺ، أنه قال: «ألا أخبركم لم سمى الله إبراهيم خليله الذي وفى؟ لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: سبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد في السموات والأرض وعشيًّا وحين تظهرون»؟

ج: هذا حديث ضعيف جدًّا في سنده ابن لهيعة، وزبان بن فائد وسهل بن معاذ، وكلهم ضعفاء.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾﴾.

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال: أحدها: يخرج المؤمن من صلب الكافر، والكافر من صلب المؤمن، وقيل: يخرج الدجاجة من البيضة والبيضة من الدجاجة، وقيل: يخرج الرجل من المنيّ، ويخرج المني من الرجل وقيل غير ذلك.

أما قوله تعالى: ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ فكما أنه سبحانه يحيي الأرض بعد موتها بالغيث الذي ينزله عليها، فكذلك يخرجكم يوم القيامة أحياء من قبوركم. والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: صَلّوا في هذه الأوقات التي أمركم بالصلاة فيها أيها الناس، الله الذي يخرج الحيّ من الميت، وهو الإنسان الحيّ من الماء الميت، ويخرج الماء الميت من الإنسان الحيّ ﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ﴾ فينبتها،

ويخرج زرعها بعد خرابها وجدوبها ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ يقول: كما يحيي الأرض بعد موتها، فيخرج نباتها وزرعها، كذلك يحييكم من بعد مماتكم، فيخرجكم أحياء من قبوركم إلى موقف الحساب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ﴾ هو ما نحن فيه من قدرته على خلق الأشياء المتقابلة. وهذه الآيات المتتابعة الكريمة كلها من هذا النمط، فإنه يذكر فيها خلقه الأشياء وأضدادها، ليدل خلقه على كمال قدرته، فمن ذلك إخراج النبات من الحب، والحب من النبات، والبيض من الدجاج، والدجاج من البيض، والإنسان من النطفة، والنطفة من الإنسان، والمؤمن من الكافر، والكافر من المؤمن.

وقوله: ﴿وَيُحۡيِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ﴾ كقوله: ﴿وَءَايَةٞ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبّٗا فَمِنۡهُ يَأۡكُلُونَ ٣٣ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ﴾ [يس: ٣٣، ٣٤]، وقال: ﴿وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ هَامِدَةٗ فَإِذَآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهَا ٱلۡمَآءَ ٱهۡتَزَّتۡ وَرَبَتۡ وَأَنۢبَتَتۡ مِن كُلِّ زَوۡجِۢ بَهِيجٖ ٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٞ لَّا رَيۡبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبۡعَثُ مَن فِي ٱلۡقُبُورِ﴾ [الحج: ٥ -٧]، وقال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَيۡ رَحۡمَتِهِۦۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتۡ سَحَابٗا ثِقَالٗا سُقۡنَٰهُ لِبَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَنزَلۡنَا بِهِ ٱلۡمَآءَ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِۚ كَذَٰلِكَ نُخۡرِجُ ٱلۡمَوۡتَىٰ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾.



قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ
ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم
مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ
ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْىِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ
وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ ۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن
فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ
يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ
ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾

[الروم: ٢٠-٢٧]

(١٩٢) أحمر
أسود

س: وضِّحْ معنى ما يلي:

﴿ءَايَٰتِهِۦٓ - تَنتَشِرُونَ - أَزۡوَٰجٗا - لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا - مَّوَدَّةٗ - وَرَحۡمَةً - يَتَفَكَّرُونَ - لِّلۡعَٰلِمِينَ - وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ - قَٰنِتُونَ - يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ - يُعِيدُهُۥ - أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ - ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ءَايَٰتِهِۦٓ﴾	أدلته وحججه عليكم لبيان وحدانيته وقدرته
﴿تَنتَشِرُونَ﴾	تتصرفون – تنتقلون من مكانٍ إلى مكانٍ
﴿أَزۡوَٰجٗا﴾	إناثًا أزواجًا
﴿لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا﴾	لتطمئنون إليها وتأتنسون بها وتأوون إليها
﴿مَّوَدَّةٗ﴾	المحبة (التي تكون بين الزوجين) والتوادد والتواصل الذي يكون بينهما
﴿وَرَحۡمَةً﴾	الشفقة (شفقة الرجل على امرأته وحرصه على أن لا تصاب بسوءٍ)
﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾	يتعظون ويعتبرون
﴿لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾	جمع عالم، وهو الذي يخشى الله ويتقيه ويعلم أمر الله ونهيه، وقيل للعالمين أي الخلق كلهم برهم وفاجرهم
﴿وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾	بحثكم عن الرزق والتماسكم له
﴿تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ﴾	تبقى ولا تسقط ولا تميل الأرض وكل ذلك بإذنه

﴿قَـٰنِتُونَ﴾	خاضعون – مطيعون
﴿يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ﴾	ينشؤه لأول مرة
﴿يُعِيدُهُۥ﴾	يعيده حيًّا بعد الموت
﴿أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾	هينٌ عليه – أمر يسيرٌ عليه وقيل أيسر عليه
﴿ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾	أحسن الأمثال وأفضلها وأجلها وهو كونه لا إله إلا هو، واحدٌ لا شريك له، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، والله أعلم



بعض الآيات الدالة على قدرة الله سبحانه ووحدانيته

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ومن آياته الدالة على وحدانيته وقدرته على كل شيء، وعلى البعث بعد الموت أنه ﷻ خلق أباكم آدم عليه السلام من تراب ثم خلق ذريته مما هو معلوم لديهم، من ماءٍ مهين (ماء المني) ثم تحول نطفة المني إلى علقة ثم إلى مضغة ثم أُخرج طفلًا ضعيفًا ثم شبَّ وقوي وترعرع، وانتشر في الأرض يتصرف فيها وينتقل فيها من مكانٍ إلى مكان.

قال الطبري رحمه الله:

يقول تعالى ذكره: ومن حُججه على أنه القادر على ما يشاء أيها الناس من إنشاء وإفناء، وإيجاد وإعدام، وأن كل موجود فخلقه خلقة أبيكم من تراب، يعني بذلك خلق آدم من تراب، فوصفهم بأنه خلقهم من تراب، إذ كان ذلك فعله بأبيهم آدم كنحو الذي قد بيَّنا فيما مضى من خطاب العرب من خاطبت بما فعلت بسلفه من قولهم: فعلنا بكم وفعلنا.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾ يقول: ثم إذا أنتم معشر ذرّية من خلقناه من تراب ﴿بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾، يقول: تتصرفون.

وقال الحافظ ابن كثير رحمه الله:

يقول تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾ الدالة على عظمته وكمال قدرته أنه خلق أباكم آدم من تراب، ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ﴾، فأصلكم من تراب، ثم من ماء مهين، ثم تَصَوّر فكان علقة، ثم مضغة، ثم صار عظامًا، مُشكَّلة على شكل الإنسان، ثم كسا الله تلك العظام لحمًا، ثم نفخ فيه الروح، فإذا هو سميع

بصير. ثم خرج من بطن أمه صغيرا ضعيف القوى والحركة، ثم كلما طال عمره تكاملت قواه وحركاته حتى آل به الحال إلى أن صار يبني المدائن والحصون، ويسافر في أقطار الأقاليم، ويركب متن البحور، ويدور أقطارَ الأرض ويتكسب ويجمع الأموال، وله فكرة وغور، ودهاء ومكر، ورأي وعلم، واتساع في أمور الدنيا والآخرة كل بحسبه. فسبحان مَنْ أقدرهم وسَيّرهم وسخرهم وصرفهم في فنون المعايش والمكاسب، وفاوت بينهم في العلوم والفكرة، والحسن والقبح، والغنى والفقر، والسعادة والشقاوة؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾ أي من علامات ربوبيته ووحدانيته أن خلقكم من تراب أي خلق أباكم منه والفرع كالأصل.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾ ثم أنتم عقلاء ناطقون تتصرفون فيما هو قوام معايشكم فلم يكن ليخلقكم عبثا ومن قدر على هذا فهو أهل للعبادة والتسبيح.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾؟

ج: المعنى –والله أعلم– ومن أدلته وحججه على خلقه، تلك الآيات الدالة على وحدانيته وقدرته أن خلق لكم من جنسكم ومن نوعكم إناثًا وجعلهن لكم أزواجًا كي تأووا إليها وتطمئنوا بها وتقضوا معهن حاجتكم،

وتذهب معهن حرارتكم ويذهب ما بكم من هياجٍ، وجعل بينكم أيها الزوجان مودة، ومحبة تتواددون بها وتتواصلون ورحمة تتراحمون بها فيما بينكم، تلك التي من آثارها خشية الرجل على امرأته أن تصاب بأدنى سوء أو أدنى مكروه، إن في ذلك لدلالات وعبر لقوم يتعظون ويعتبرون ويستدلون بذلك على قدرة الله على كل شيء وعلى وحدانيته.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن حججه وأدلته على ذلك أيضا خلقه لأبيكم آدم من نفسه زوجة ليسكن إليها، وذلك أنه خلق حوّاء من ضلع من أضلاع آدم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ خلقها لكم من ضلع من أضلاعه.

وقوله: ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ يقول: جعل بينكم بالمصاهرة والختونة مودة تتوادّون بها، وتتواصلون من أجلها، ﴿وَرَحْمَةً﴾ رحمكم بها، فعطف بعضكم بذلك على بعض ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في فعله ذلك لعبراً وعظات لقوم يتذكرون في حجج الله وأدلته، فيعلمون أنه الإله الذي لا يُعجزه شيء أراده، ولا يتعذّر عليه فعل شيء شاءه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ:

وقوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ أي: خلق لكم من جنسكم إناثا يَكُنَّ لكم أزواجا، ﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾، كما قال تعالى: ﴿ ۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ [الأعراف: ١٨٩] يعني بذلك: حواء، خلقها الله من آدم من ضِلَعه الأقصر الأيسر. ولو أنه جعل بني آدم كلهم ذكورا وجعل إناثهم من جنس آخر إما من جان أو حيوان، لما حصل

هذا الائتلاف بينهم وبين الأزواج، بل كانت تحصل نَفْرَة لو كانت الأزواج من غير الجنس. ثم من تمام رحمته ببني آدم أن جعل أزواجهم من جنسهم، وجعل بينهم وبينهن مودة: وهي المحبة، ورحمة: وهي الرأفة، فإن الرجل يمسك المرأة إما لمحبته لها، أو لرحمة بها، بأن يكون لها منه ولد، أو محتاجة إليه في الإنفاق، أو للألفة بينهما، وغير ذلك، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.



س: اذكر بعض الوارد في الحث على التوادد والتراحم بين الزوجين.

ج: أقول وبالله التوفيق، وقد تقدم شيء كثير من هذا في سورتي البقرة والنساء، ومن ذلك أيضًا ما يلي:

قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجًا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحۡمَةً﴾. وقوله ﷺ: «**أكمل المؤمنين إيمانًا أحسنهم خلقًا وخياركم خياركم لنسائهم**»[1]، وقوله ﷺ: «**عليكم بالرفق**»[2]. وقوله ﷺ: «**إن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه ولا ينزع من شيء إلا شانه**»[3]، وقوله ﷺ: «**إن الله يحب الرفق في الأمر كله**»[4]، وقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ وقوله ﷺ: «**فاستوصوا بالنساء خيرًا**»[5].



(١) أخرجه أحمد (بسندٍ صحيح لشواهده) (٢/ ٤٧٢).
(٢) مسلم (٢٥٩٤).
(٣) مسلم (٢٥٩٤).
(٤) البخاري (٦٠٢٤).
(٥) البخاري (٩/ ٢٥٢)، ومسلم (١٠٩١).

بعض الوارد في الحث
على التوادد والتراحم بين المؤمنين

س: اذكر بعض الوارد في الحث على التوادد والتراحم بين المؤمنين.

ج: من ذلك ما يلي:

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحشر: ١٠].

وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»[(١)].

* وقال ﷺ: «وكونوا عباد الله إخوانًا»[(٢)].

* وقال ﷺ: «المسلم أخو المسلم»[(٣)].

* وقال عليه الصلاة والسلام: «لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث»[(٤)].

* وقال عليه الصلاة والسلام: «تبسمك في وجه أخيك لك صدقة»[(٥)].

* وقال ﷺ: «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه»[(٦)].

---

(١) البخاري (حديث ١٣)، مسلم (حديث ٤٥) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٢) أخرجه البخاري (حديث ٦٠٦٤)، ومسلم (حديث ٢٥٦٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث ولا تحسسوا، ولا تجسسوا ولا تنافسوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانًا».

(٣) أخرجه البخاري (حديث ٢٤٤٢)، ومسلم (حديث ٢٥٨٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يُسلمه ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرج عن مسلم كُربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة».

(٤) أخرجه البخاري (٦٠٦٥)، ومسلم (حديث ٢٥٥٩) من حديث أنس رضي الله عنه مرفوعًا.

(٥) أخرجه الترمذي (١٩٥٦) بإسناد فيه ضعف، ولكن له شاهد عند مسلم (مع النووي ٥/ ٤٨٣) بلفظ: «لا تحقرن من المعروف شيئًا ولو أن تلقى أخاك بوجهٍ طلق».

(٦) أخرجه مسلم (حديث ٢٦٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من نفس

* وقال ﷺ في شأن الغِيبة: «ذكرك أخاك بما يكره»(١).

* وقال عليه الصلاة والسلام في شأن الضرائر: «لا يحل لامرأة تسأل طلاق أختها لتستفرغ صحفتها»(٢).



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾.

ج: المعنى - والله تعالى أعلم-: ومن دلائله وحججه على خلقه وأنه واحد لا شريك له، وأنه قادر على بعث الناس بعد إماتتهم خلقه ﷻ للسموات والأرض، تلك التي هي أكبر من خلق الناس، فخلقه لها دالٌّ على قدرته على خلق ما هو أقل منها، وقد قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ﴾ [غافر: ٥٧]، وكذا خلقه لهم دالٌّ على قدرته على بعثهم بعد موتهم.

وكذا من دلائل قدرته ووحدانيته خلقُهُ ﷻ للخلق مختلفين في لغاتهم ولهجاتهم، فهذا يتحدث بلسان عربي مبين، وهذا دون ذلك وهذا عجمي، وهذا هندي، وهذا فرنسي، وهذا إنجليزي، وهذا باكستاني، وهذا زنجي، وهذا أمريكاني، و... لغات لا يعلمها إلا الله.

بل أهل اللغة الواحدة يختلفون في فصاحتهم ومنطقهم فهذا بليغٌ، وهذا لا

= مؤمن كربة من كرب الدنيا نفس الله عنه كربة من كرب الآخرة، ومن ستر مسلمًا ستره الله في الدنيا والآخرة والله في عون العبد ما كان العبد في عون أخيه».

(١) أخرجه مسلم (٢٥٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغِيبة؟» قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: «ذكرك أخاك بما يكره» قيل: أفرأيت إن كان في أخي ما أقول؟ قال: «إن كان فيه ما تقول فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد بهته».

(٢) البخاري (٥١٥٢)، ومسلم (مع النووي ٣/ ٥٦٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا.

يكاد يبين.

وكذا ما اكتشف مؤخرًا من أنه لكل شخصٍ بصمة صوتٍ تختلف عن بصمة صوت الآخر فسبحان من خلق الخلق وأودع فيهم ما أودع.

ففي خلقه الذي خلق دلالات (للعالمين)، قرأت (**للعالَمين**) بفتح اللام، والمراد الإنس والجن برهم وفاجرهم، وقُرأت (للعالِمين) والمراد العلماء الذين يعقلون عن الله ﷻ قوله.

فهم المستفيدون من هذا التذكير، المتفهمون للمراد بإذن الله وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن حججه وأدلته أيضًا على أنه لا يُعجزه شيء، وأنه إذا شاء أمات من كان حيًّا من خلقه، ﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٢] وأعاده كما كان قبل إماتته إياه خلقه السموات والأرض من غير شيء أحدث ذلك منه، بل بقدرته التي لا يمتنع معها عليه شيء أراده ﴿وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾ يقول: واختلاف منطق ألسنتكم ولغاتها ﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾ يقول: واختلاف ألوان أجسامكم ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾ يقول: إن في فعله ذلك كذلك لعبرًا وأدلة لخلقه الذين يعقلون أنه لا يعييه إعادتهم لهيئتهم التي كانوا بها قبل مماتهم من بعد فنائهم، وقد بيَّنا معنى (**الْعَالِمِينَ**) فيما مضى قبل.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ومن آيات قدرته العظيمة ﴿خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: خلق السموات في ارتفاعها واتساعها، وشفوف أجرامها وزهارة كواكبها ونجومها الثوابت والسيارات، والأرض في انخفاضها وكثافتها وما فيها من جبال

وأودية، وبحار وقفار، وحيوان وأشجار.

وقوله: ﴿وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ﴾ يعني: اللغات، فهؤلاء بلغة العرب، وهؤلاء تَتَرٌ لهم لغة أخرى، وهؤلاء كَرَج، وهؤلاء روم، وهؤلاء إفرنج، وهؤلاء بَرْبر، وهؤلاء تكْرور، وهؤلاء حبشة، وهؤلاء هنود، وهؤلاء عجم، وهؤلاء صقالبة، وهؤلاء خزر، وهؤلاء أرمن، وهؤلاء أكراد، إلى غير ذلك مما لا يعلمه إلا الله من اختلاف لغات بني آدم، واختلاف ألوانهم وهي حُلاهم، فجميع أهل الأرض - بل أهل الدنيا - منذ خلق الله آدم إلى قيام الساعة: كلٌّ له عينان وحاجبان، وأنف وجبين، وفم وخدان. وليس يشبه واحد منهم الآخر، بل لا بد أن يفارقه بشيء من السمت أو الهيئة أو الكلام، ظاهرا كان أو خفيًّا، يظهر عند التأمل، كلٌّ وجه منهم أسلوب بذاته وهيئة لا تشبه الأخرى. ولو توافق جماعة في صفة من جمال أو قبح، لا بد من فارق بين كل واحد منهم وبين الآخر، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ خَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ تقدم في البقرة وكانوا يعترفون بأن الله تعالى هو الخالق ﴿وَٱخۡتِلَٰفُ أَلۡسِنَتِكُمۡ وَأَلۡوَٰنِكُمۡۚ﴾ اللسان الفم وفيه اختلاف اللغات: من العربية إلى العجمية والتركية والرومية واختلف الألوان في الصور: من البياض والسواد والحمرة فلا تكاد ترى أحدا إلا وأنت تفرق بينه وبين الآخر وليس هذه الأشياء من فعل النطفة ولا من فعل الأبوين فلا بد من فاعل فعلم أن الفاعل هو الله تعالى فهذا من أدل دليل على المدبر البارئ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ أي للبر والفاجر وقرأ حفص: ﴿لِّلۡعَٰلِمِينَ﴾ بكسر اللام جمع عالم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم – ومن حججه على خلقه وأدلته على وحدانيته تقدير الليل والنهار على النحو الذي يتناسب معكم، فقد جعل الليل لكم سكنًا ولباسًا تهدءون فيه وتستريحون كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ [النبأ: ٩].

وجعل النهار للمعاش كما قال: ﴿وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا﴾ [النبأ: ١١].

وهنا في الآية الكريمة نوع تقديم وتأخير، والمعنى، ومن آياته منامكم بالليل، وابتغاؤكم من فضله بالنهار، وهذا غالب أحوال الناس، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ ۖ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾. أما قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ فمعناه – والله أعلم – إن في ذلك الاختلاف بين الليل والنهار من الصفات لدلالات على وحدانية الله لقوم يسمعون سماع الانتفاع، يسمعون المواعظ فينتفعون بها، لا كالذين قال الله في شأنهم ﴿قَالُوا۟ سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢١].

وبنحو ما ذكر قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن حججه عليكم أيها القوم، تقديره الساعات والأوقات، ومخالفته بين الليل والنهار، فجعل الليل لكم سكنا تسكنون فيه، وتنامون فيه، وجعل النهار مضيئا لتصرّفكم في معايشكم والتماسكم فيه من

رزق ربكم ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: إن في فعل الله ذلك كذلك، لعبرا وذكرى وأدلة على أن فاعل ذلك لا يُعجزه شيء أراده ﴿لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ﴾ مواعظ الله، فيتعظون بها، ويعتبرون فيفهمون حجج الله عليهم.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ قيل: في هذه الآية تقديم وتأخير والمعنى: ومن آياته منامكم بالليل وابتغاؤكم من فضله بالنهار فحذف حرف الجر لاتصاله بالليل وعطفه عليه والواو تقوم مقام حرف الجر إذا اتصلت بالمعطوف عليه في الاسم الظاهر خاصة فجعل النوم بالليل دليلًا على الموت والتصرف بالنهار دليلا على البعث ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ﴾ يريد سماع تفهم وتدبر وقيل: يسمعون الحق فيتبعونه وقيل: يسمعون الوعظ فيخافونه وقيل: يسمعون القرآن فيصدقونه والمعنى متقارب وقيل: كان منهم من إذا تلي القرآن وهو حاضر سدَّ أذنيه حتى لا يسمع.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبۡتِغَآؤُكُم مِّن فَضۡلِهِۦٓ﴾ أي: ومن الآيات ما جعل لكم من صفة النوم في الليل والنهار، فيه تحصل الراحة وسكون الحركة، وذهاب الكلال والتعب، وجعل لكم الانتشار والسعي في الأسباب والأسفار في النهار، وهذا ضد النوم، ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوۡمٍ يَسۡمَعُونَ﴾ أي: يعون.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: ومن آياته الدالة على قدرته ووحدانيته أنه سبحانه وتعالى يريكم البرق، وهو الذي يصاحب الأمطار وقبلها أيضًا، يريكم إياه فتخافون من ضرره، في سفركم تخافون منه خشية أن تتأذوا في سفركم، وكذا تطمعون عند رؤيته وأنتم في بلادكم، تطمعون في فضل الله أن ينزل عليكم الغيث فتحيا به البلاد والعباد.

وكذا تخافون منه في حضركم أيضًا أن نتلف زروعكم بسبب شدة البرد، أو أن يصبكم الصواعق، وكذا من آياته إنزال الماء من السماء فيحيي الله به الأرض بعد موتها وتصبح مخضرة إذ ينبت فيها بإذن الله من كل زوج بهيج إن في ذلك لدلالات يَستدل بها على وحدانيتنا وقدرتنا على كل شيء وقدرتنا على البعث بعد الموت قومٌ يعقلون عن الله أمره.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن حججه ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا﴾ لكم إذا كنتم سفْرا، أن تُمطروا فتتأذّوا به ﴿وَطَمَعًا﴾ لكم، إذا كنتم في إقامة، أن تمطروا، فتحيوا وتخصبوا ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ يقول: وينزل من السماء مطرًا، فيحيي بذلك الماء الأرض الميتة؛ فتنبت ويخرج زرعها بعد موتها، يعني جدوبها ودروسها ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ﴾ يقول: إن في فعله ذلك كذلك لعبرًا وأدلة ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ عن الله حججه وأدلته.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: في قوله: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ قال: خوفًا للمسافر، وطمعًا للمقيم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ ﴾ الدالة على عظمته أنه ﴿يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ أي: تارة تخافون مما يحدث بعده من أمطار مزعجة، أو صواعق متلفة، وتارة ترجون وَمِيضَه وما يأتي بعده من المطر المحتاج إليه؛ ولهذا قال: ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ أي: بعدما كانت هامدة لا نبات فيها ولا شيء، فلما جاءها الماء ﴿ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ﴾ [الحج: ٥]. وفي ذلك عبرة ودَلالَة واضحة على المعاد وقيام الساعة؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ قيل : المعنى أن يريكم فحذف أن لدلالة الكلام عليه؛ قال طرفة :

ألا أيهذا اللائمي أحضر الوغى   وأن أشهد اللذات هل أنت مخلدي

وقيل : هو على التقديم والتأخير أي: ويريكم البرق من آياته وقيل: أي ومن آياته آية يريكم بها البرق كما قال الشاعر :

وما الدهر إلا تارتان فمنهما   أموت وأخرى أبتغي العيش أكدح

وقيل : أي من آياته أنه يريكم البرق خوفًا وطمعا من آياته قاله الزجاج فيكون عطف جملة على جملة خوفًا أي للمسافر وطمعًا للمقيم قاله قتادة الضحاك : خوفًا من الصواعق، وطمعًا في الغيث. يحيى بن سلام : خوفًا من البرد أن يهلك الزرع وطمعًا في المطر أن يحيي الزرع. ابن بحر: خوفًا أن يكون البرق برقًا خلبًا لا يمطر وطمعًا أن يكون ممطرًا وأنشد قول الشاعر:

لا يكن برقك برقًا خلبًا   إن خير البرق ما الغيث معه

وقال آخر:

فقــــد أرد الميــــاه بغيـــــر زاد سـوى عـدى لهـا بـرق الغمـام

والبرق الخلب: الذي لا غيث فيه كأنه خادع ومنه قيل لمن يعد ولا ينجز: إنما أنت كبرق خلب. والخلب أيضًا: السحاب الذي لا مطر فيه ويقال: برق خلب بالإضافة ﴿وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحۡيِۦ بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَآۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ بِأَمۡرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ ٢٥﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: ومن أدلته على وحدانيته وحججه على خلقه وبيان أنه على كل شيء قدير قيام السموات والأرض بأمره وبإذنه، فالسماء لا تسقط على الأرض، وقد قال تعالى: ﴿رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيۡرِ عَمَدٖ تَرَوۡنَهَاۖ﴾ [الرعد: ٢]، وقال: ﴿وَيُمۡسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦٓۚ﴾ [الحج: ٦٥]، وكذا فالأرض لا تميد بأهلها كما قال تعالى: ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ [لقمان: ١٠].

ولكل من السموات والأرض أجل تنتهي عنده كما قال تعالى: ﴿مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ﴾ [الأحقاف: ٣].

أما قوله: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمۡ دَعۡوَةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ أي: يوم القيامة، كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾ [القمر: ٦]، والداعي تكون دعوته بإذن الله وأمره.

وكما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُوكُمۡ فَتَسۡتَجِيبُونَ بِحَمۡدِهِۦ﴾ [الإسراء: ٥٢].

أما قوله: ﴿إِذَآ أَنتُمۡ تَخۡرُجُونَ﴾ أي: من قبوركم مجيبين الداعي، وذلك

للثواب والعقاب.

وبنحو ما ذُكر قال أهل العلم بالتأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن حججه أيها القوم على قُدرته على ما يشاء، قيام السماء والأرض بأمره خضوعا له بالطاعة بغير عمد ترى ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ يقول: إذا أنتم تخرجون من الأرض، إذا دعاكم دعوة مستجيبين لدعوته إياكم.

وأورد بإسناد حسن عن قتادة: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ قامتا بأمره بغير عمد ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ قال: دعاهم فخرجوا من الأرض.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ كقوله: ﴿وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ﴾ [الحج: ٦٥]، وقوله: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ [فاطر: ٤١]. وكان عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ إذا اجتهد في اليمين يقول: لا والذي تقوم السماء والأرض بأمره، أي: هي قائمة ثابتة بأمره لها وتسخيره إياها، ثم إذا كان يوم القيامة بُدلت الأرض غير الأرض والسموات، وخرجت الأموات من قبورها أحياء بأمره تعالى ودعائه إياهم؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِۦ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٢].

وقال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ [النازعات: ١٣، ١٤]، وقال: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾ أن في محل رفع كما تقدم أي قيامها واستمساكها بقدرته بلا عمد وقيل : بتدبيره وحكمته أي يمسكها بغير عمد لمنافع الخلق وقيل : بأمره بإذنه والمعنى واحد ﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ أي الذي فعل هذه الأشياء قادر على أن يبعثكم من قبوركم والمراد سرعة وجود ذلك من غير توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل :

دعوت كليبا باسمه فكأنما دعوت برأس الطود أو هو أسرع

يريد برأس الطود : الصدى أو الحجر إذا تدهده وإنما عطف هذا على قيام السماوات والأرض بـ«ثم» لعظم ما يكون من ذلك الأمر واقتداره على مثله وهو أن يقول : يا أهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الأولين والآخرين إلا قامت تنظر كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر : ٦٨] وإذا الأولى في قوله تعالى : ﴿إِذَا دَعَاكُمْ﴾ للشرط والثانية في قوله تعالى : ﴿إِذَآ أَنتُمْ﴾ للمفاجأة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴾ .

ج: المعنى –والله تعالى أعلم-: ولله كلُّ من في السموات والأرض، كلهم له خاضع ذليل تجري على أقدار الله لا يستطيع أن يمتنع منها، فتصيبه الأمراض ولا يمتنع، وتصيبه الخسائر ولا يمتنع ويصيبه الموت والأحداث ولا يمتنع، بل هو لله في ذلك كله خاضع وذليل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وله من في السموات والأرض من ملك وجنّ وإنس عبيد وملك ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ يقول: كلّ له مطيعون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: ملكه وعبيده، ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ أي: خاضعون خاشعون طوعًا وكرهًا.



س: ذهب بعض أهل العلم إلى أن القنوت هنا بمعنى الطاعة فقالوا معنى قوله تعالى: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ أي: مطيعون، وأوردوا على أنفسهم سؤالًا حاصله كيف قيل ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ أي: مطيعون، ومن الخلق من يعصي، فما جواب ذلك؟

ج: إذا حملنا القنوت هنا على الطاعة فلا إشكال أيضًا فمطيعون فيما يجري عليهم من أقدار الله لا يستطيعون الامتناع عنها.

وبنحو ذلك قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فيقول قائل: وكيف قيل ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ وقد علم أن أكثر الإنس والجنّ له عاصون؟ فنقول: اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك، فنذكر اختلافهم، ثم نبين الصواب عندنا في ذلك من القول، فقال بعضهم: ذلك كلام مخرجه مخرج العموم، والمراد به الخصوص، ومعناه: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾ في الحياة والبقاء والموت، والفناء والبعث والنشور، لا يمتنع عليه شيء من ذلك، وإن عصاه بعضهم في غير ذلك.

وأورد الطبري بسندٍ ضعيف عن ابن عباس نحوًا من ذلك.

وقال الطبري: وقال آخرون: بل معنى ذلك: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ بإقرارهم بأنه ربهم وخالقهم.

وأورد بإسناد حسن عن قَتادة قال: ﴿كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ٢٦﴾ أي: مطيع مقرٌّ بأن الله ربه وخالقه.

قال الطبري: وقال آخرون: هو على الخصوص، والمعنى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ من ملك وعبد مؤمن لله مطيع دون غيرهم.

واختار الطبري القول الأول الذي هو: أن كلّ من في السماوات والأرض من خلق الله مطيع في تصرّفه فيما أراد تعالى ذكره، من حياة وموت، وما أشبه ذلك، وإن عصاه فيما يكسبه بقوله، وفيما له السبيل إلى اختياره وإيثاره على خلافه.

وإنما قلت: ذلك أولى بالصواب في تأويل ذلك؛ لأن العصاة من خلقه فيما لهم السبيل إلى اكتسابه كثير عددهم، وقد أخبر تعالى ذكره عن جميعهم أنهم له قانتون، فغير جائز أن يخبر عمن هو عاص أنه له قانت فيما هو له عاصٍ. وإذا كان ذلك كذلك، فالذي فيه عاص هو ما وصفت، والذي هو له قانت ما بينت.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٢٧﴾.

ج: المعنى –والله أعلم–: وهو الذي يُنشئ الخلق لأول مرة، وذلك من المني الذي يتدفق إلى رحم المرأة، فتلك النطفة تتعلق بالرحم وتصبح علقة ثم مضغة إلى أن يخرج الطفل من بطن أمه ثم يحييه ما شاء الله أن يحييه ثم

يُميته عند استيفاء الأجل، ثـم يُعيـده حيًّا يـوم القيامة بعـد إماتته التـي كانـت في الدنيا، وهذا البعث، وتلك الإعادة (أهون عليه) أيسـر عليـه مـن ابتـداء الخلـق، وإن كـان الكـلُّ علـى الله يسـيرٌ وسـهلٌ، وقيـل لأهـون بمعنـى هـين، أي سـهل ويسير.

* أما قولـه تعـالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فقـد قـال عـددٌ مـن العلماء: إن المراد بذلك المثل الأعلى وحدانيته ﷻ أي: أنه لا إلـه إلا هـو، ولا شريك له ولا ند ولا مثيل، وليس كمثله شيء.

أما قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُمنع من شيء يريده.

وكذا فهـو الغالـب، ومـا دونه مغلـوب ومقهـور بـإذن الله الحكـيم في تـدبير شؤون الخلق، وفي كل أمر يأمر بـه، وفي كـل نهـي ينهـى عنـه. وبنحـو ذلـك قـال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ يقول تعالى ذكره: والذي له هـذه الصفات تبارك وتعالى، هو الذي يبـدأ الخلـق مـن غيـر أصـل فينشـئه ويوجـده، بعد أن لـم يكن شيئًا، ثم يفنيـه بعد ذلـك، ثـم يعيـده، كمـا بـدأه بعـد فنائـه، وهـو أهون عليه.

اختلـف أهـل التأويـل في معنـى قولـه: ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ فقـال بعضـهم: معناه: وهو هين عليه.

وقـال آخـرون: معنـاه: وإعـادة الخلـق بعـد فنـائهم أهـون عليـه مـن ابتـداء خلقهم.

وأورد أقوالًا أُخر، وقال:

وقولــه: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ يقــول: ولله المثــل الأعلــى في الســماوات والأرض، وهو أنه لا إله إلا هو وحده لا شريك لـه، لـيس كمثلـه شـيء، فـذلك المثل الأعلى، تعالى ربنا وتقدّس.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة قوله: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ مثله أنه لا إله إلا هو، ولا ربّ غيره.

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ يقول تعالى ذكره: وهو العزيز في انتقامه من أعدائه، الحكيم في تدبيره خلقه، وتصريفهم فيما أراد من إحيـاء وإماتـة، وبعـث ونشر، وما شاء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾ قال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: يعني: أيسر عليه.

وقال مجاهد: الإعادة أهون عليه من البَدَاءة، والبداءة عليه هَيْنٌ. وكذا قـال عكرمة وغيره.

وأورد ما أخرجه البخاري[1] من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قـال: «قـال الله: كَـذبَني ابـن آدم ولـم يكـن لـه ذلـك، وشـتمني ولـم يكـن لـه ذلـك، فأمـا تكذيبـه إيـاي فقولـه: لـن يعيـدني كمـا بـدأني، ولـيس أول الخلـق بـأهونَ علـيّ مـن إعادته. وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنـا الأحـد الصـمد، الـذي لـم يلـد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد».

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ قـال علـي بـن أبـي طلحـة، عـن

(١) انظر البخاري (٤٩٧٤، ٤٩٧٥).

ابن عباس كقوله: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١].

وقال قتادة: مَثَله أنه لا إله إلا هو، ولا رب غيره

﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لا يغالب ولا يمانع، بل قد غلب كل شيء، وقهر كل شيء بقدرته وسلطانه، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في أفعاله وأقواله، شَرْعًا وقَدَرًا.

وعن مالك في تفسيره المروي عنه، عن محمد بن المنْكَدِر، في قوله تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾، قال: لا إله إلا الله.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ﴿وَلَهُ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾ أي ما أراده جل وعز كان وقال الخليل: المثل الصفة أي وله الوصف الأعلى: (﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾ كما قال: (﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ﴾ [الرعد: ٣٥] أي صفتها وقد مضى الكلام في ذلك وعن مجاهد: المثل الأعلى قول لا إله إلا الله ومعناه: أي الذي له الوصف الأعلى أي الأرفع الذي هو الوصف بالوحدانية وكذا قال قتادة: إن المثل الأعلى شهادة أن لا إله إلا الله ويعضده قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ﴾ [الروم: ٢٨] على ما نبينه آنفا إن شاء الله تعالى وقال الزجاج: وله المثل الأعلى في السماوات والأرض أي قوله: وهو أهون عليه قد ضربه لكم مثلا فما يصعب ويسهل يريد التفسير الأول وقال ابن عباس: أي ليس كمثله شيء.



قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن
شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ
أَنفُسَكُمْۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ
ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ
﴿٢٩﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ لَا تَبْدِيلَ
لِخَلْقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
﴿٣٠﴾ ۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُواْ مِنَ
ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًاۖ كُلُّ حِزْبِۭ
بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الروم: ٢٨-٣٢].

س: اذكر معنى ما يلي:
﴿مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم -فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٌ - نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ - فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ - حَنِيفٗاۚ - فِطۡرَتَ ٱللَّهِ - لَا تَبۡدِيلَ - لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ - مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ -فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ - شِيَعٗا ﴾؟

ج:

الكلمة	معناها
(مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم ﴾	العبيد والإماء الذين تملكونهم
﴿فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾	فأنتم وعبيدكم في الأمور والأموال مستوون
﴿نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ ﴾	نوضحها ونبينها
﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ ﴾	أحسن القصد وأخلص النية واجتهد في العمل الصالح، واتبع هذا الدين الحنيف
﴿حَنِيفٗاۚ﴾	مائلًا عن الشرك إلى التوحيد موحِّدًا
﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ﴾	خلق الله وصنعة الله، وقيل المراد الإسلام
﴿لَا تَبۡدِيلَ ﴾	لا تغيير
﴿لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾	لدين الله
﴿مُنِيبِينَ إِلَيۡهِ ﴾	رجَّاعين مطيعين
﴿فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ ﴾	تفرقوا في دينهم واختلفوا واختلقوا
﴿شِيَعٗا ﴾	فرقًا وأحزابًا



مثل مضروب لنفي الشريك عن الله ﷻ

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾؟

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: ضرب الله ﷻ وساق لكم مثلًا من أنفسكم تدركونه بعقولكم وتبصرونه في دنياكم، مثلًا على كونه إلهًا واحدًا لا شريك له، تستدلون بهذا المثل على وحدانيته ﷻ، حاصل هذا المثل أن أحدكم إذا كان له عبدٌ يملكه أو أمة يملكها فهذا المراد بقوله ملكت أيمانكم فهل يرضى أن يشاركه عبدُه في ماله أو تشاركه أمته في ماله، وهل يرضى أحدكم أن يشاركه عبدُه في سائر حقوقه، وهل يرضى أحدكم أن يشاركه عبده في ميراثه من والديه أو من غيرهما، هل يرضى أحدكم أن يشاركه عبده في أموره وشؤونه ثم هو يخشى عبده ويرهبه ويخشى أن يكون للعبد رأيٌ وقولٌ وميراث في شؤونه فقطعًا لا يرضى أحدكم أن يشاركه عبدُه في ماله ولا في قراره ولا في شؤونه الخاصة ولا في ميراثه ولا في غير ذلك، فكيف لا ترضون بأن يشارككم عبيدكم الذين هم بشرٌ أمثالكم، وتستنكفون من ذلك أشد الاستنكاف وترفضونه أشد الرفض، ثم أنتم تجعلون لله الذي ليس كمثله شيء، الذي لا إله غيره ولا معبود سواه تجعلون له شريكًا تعبدونه كما تعبدون الله، وتتقربون إليه كما تتقربون لله، فهذا حقًّا شيء عجيب دال على قلة العقول والأفهام، فهكذا يفصل الله الآيات ويبين الحجج ويضرب الأمثال لقوم يعقلون، فالمستفيدون من تلك الأمثال أصحاب العقول النيرة الرشيدة المؤمنة الموحدة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: مثل لكم أيها القوم ربكم مثلًا من أنفسكم، ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم﴾ يقول: من مماليككم من شركاء، فيما رزقناكم من مال، فأنتم فيه سواء وهم. يقول: فإذا لم ترضوا بذلك لأنفسكم فكيف رضيتم أن تكون آلهتكم التي تعبدونها لي شركاء في عبادتكم إياي، وأنتم وهم عبيدي ومماليكي، وأنا مالك جميعكم.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ﴾ قال: مثل ضربه الله لمن عدل به شيئًا من خلقه، يقول: أكان أحدكم مشاركًا مملوكه في فراشه وزوجته؟! فكذلكم الله لا يرضى أن يعدل به أحد من خلقه.

وبإسنادٍ صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ﴾ قال: هل تجد أحدًا يجعل عبده هكذا في ماله، فكيف تعمد أنت وأنت تشهد أنهم عبيدي وخلقي، وتجعل لهم نصيبًا في عبادتي، كيف يكون هذا؟ قال: وهذا مثل ضربه الله لهم، وقرأ: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ﴾.

قال الطبري: واختلف أهل التأويل في تأويل قوله: (تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡ) فقال بعضهم: معنى ذلك: تخافون هؤلاء الشركاء، مما ملكت أيمانكم، أن يرثوكم أموالكم من بعد وفاتكم، كما يرث بعضكم بعضًا.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: تخافون هؤلاء الشركاء مما ملكت أيمانكم أن يقاسموكم أموالكم، كما يقاسم بعضكم بعضًا.

وأورد بسندٍ صحيح عن أبي مجلز قال: إن مملوكك لا تخاف أن يقاسمك

مالك، وليس له ذلك، كذلك الله لا شريك له.

قال الطبري: وأولى القولين بالصواب في تأويل ذلك، القول الثاني؛ لأنه أشبههما بما دلّ عليه ظاهر الكلام، وذلك أن الله جلّ ثناؤه وبخ هؤلاء المشركين، الذين يجعلون له من خلقه آلهة يعبدونها، وأشركوهم في عبادتهم إياه، وهم مع ذلك يقرّون بأنها خلقه وهم عبيده، وعيرهم بفعلهم ذلك، فقال لهم: هل لكم من عبيدكم شركاء فيما خوّلناكم من نعمنا، فهم سواء، وأنتم في ذلك تخافون أن يقاسموكم ذلك المال الذي هو بينكم وبينهم، كخيفة بعضكم بعضا أن يقاسمه ما بينه وبينه من المال شركة، فالخيفة التي ذكرها تعالى ذكره بأن تكون خيفة مما يخاف الشريك من مقاسمة شريكه المال الذي بينهما إياه، أشبه من أن تكون خيفة منه بأن يرثه؛ لأن ذكر الشركة لا يدلّ على خيفة الوراثة، وقد يدلّ على خيفة الفراق والمقاسمة.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: كما بيّنا لكم أيها القوم حججنا في هذه الآيات من هذه السورة على قدرتنا على ما نشاء من إنشاء ما نشاء، وإفناء ما نحبّ، وإعادة ما نريد إعادته بعد فنائه، ودللنا على أنه لا تصلح العبادة إلا للواحد القهار، الذي بيده ملكوت كلّ شيء كذلك نبين حججنا في كل حقّ لقوم يعقلون، فيتدبرونها إذا سمعوها، ويعتبرون فيتعظون بها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال بعض العلماء: هذه الآية أصل في الشركة بين المخلوقين لافتقار بعضهم إلى بعض ونفيها عن الله سبحانه وذلك انه لما قال جل وعز: ﴿ضَرَبَ

لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم ﴾ الآية فيجب أن يقولوا : ليس عبيدنا شركاءنا فيما رزقتنا ! فيقال لهم : فكيف يتصور أن تنزهوا نفوسكم عن مشاركة عبيدكم وتجعلوا عبيدي شركائي في خلقي فهذا حكم فاسد وقلة نظر وعمى قلب ! فإذا بطلت الشركة بين العبيد وساداتهم فيما يملكه السادة والخلق كلهم عبيد لله تعالى فيبطل أن يكون شيء من العالم شريكًا لله تعالى في شئ من أفعاله فلم يبق إلا أنه واحد يستحيل أن يكون له شريك إذ الشركة تقتضي المعاونة ونحن مفتقرون إلى معاونة بعضنا بعضًا بالمال والعمل والقديم الأزلي منزه عن ذلك جل وعز .

وهذه المسألة أفضل للطالب من حفظ ديوان كامل في الفقه؛ لأن جميع العبادات البدنية لا تصح إلا بتصحيح هذه المسألة في القلب فافهم ذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

هذا مثل ضربه الله تعالى للمشركين به، العابدين معه غيره، الجاعلين له شركاء وهم مع ذلك معترفون أن شركاءه من الأصنام والأنداد عبيد له، ملك له، كما كانوا في تلبيتهم يقولون: لبيك لا شريك لك، إلا شريكا هو لك، تملكه وما ملك. فقال تعالى: ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْۖ ﴾ أي: تشهدونه وتفهمونه من أنفسكم؛ ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ ﴾ أي: لا يرتضي أحد منكم أن يكون عبده شريكًا له في ماله، فهو وهو فيه على السواء ﴿تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْۚ ﴾ أي: تخافون أن يقاسموكم الأموال.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى: أن أحدكم يأنف من ذلك، فكيف تجعلون لله الأنداد من خلقه.

وهـذا كقولـه تعـالى: ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ ﴾ [النحل: ٦٢] أي: مـن البنـات، حيث جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، وجعلوها بنات الله، وقد كان أحدهم إذا بُشر بالأنثى ظل وجهه مسودًا وهو كظيم، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به، أيمسكه على هون أم يدسه في التراب، فهم يأنفون مـن البنـات. وجعلوا الملائكة بنات الله، فنسبوا إليه ما لا يرتضونه لأنفسهم، فهذا أغلظ الكفر. وهكذا في هذا المقام جعلوا له شركاء من عبيده وخلقه، وأحدهم يأبى غاية الإباء ويأنف غاية الأنفة من ذلك، أن يكون عبدهُ شريكَه في ماله، يساويه فيه. ولو شاء لقاسمه عليه، تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ (التفسير القيم):

قول الله تعالى ذكره:

﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم مِّن شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْنَاكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾.

هذا دليل قياس. احتج الله سبحانه به على المشركين، حيث جعلوا له من عبيده وملكه شركاء فأقام عليهم حجة يعرفون صحتها من نفوسهم، لا يحتاجون فيها إلى غيرهم.

ومن أبلغ الحجاج أن يأخذ الإنسان من نفسه، ويحتج عليه بما هو في نفسه مقرر عندها، معلوم لها. فقال: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُم﴾ من عبيدكم وإمائكم شركاء في المال والأهل؟ أي: هل يشارككم عبيدكم في أموالكم وأهليكم فأنتم وهم في ذلك سواء؟ تخافون أن يقاسموكم أموالكم، ويشاطروكم إياها، ويستأثرون ببعضها عليكم، كما يخاف الشريك شريكه.

وقال ابن عباس: تخافونهم أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضًا.

والمعنى: هل يرضى أحد منكم أن يكون عبده شريكه في ماله وأهله، حتى يساويه في التصرف في ذلك؟ فهو يخاف أن ينفرد في ماله بأمر يتصرف فيه، كما يخاف غيره من الشركاء والأحرار؟ فإذا لم ترضوا ذلك لأنفسكم، فلم عدلتم بي من خلقي من هو مملوك لي؟ فإن كان هذا الحكم باطلًا في فطركم وعقولكم، مع أنه جائز عليكم، ممكن في حقكم، إذ ليس عبيدكم ملكًا لكم حقيقة، وإنما هم إخوانكم جعلهم الله تحت أيديكم، وأنتم وهم عباد لي، فكيف تستجيزون مثل هذا الحكم في حقي مع أن من جعلتموهم لي شركاء عبيدي وملكي وخلقي، فهكذا يكون تفصيل الآيات لأولي العقول.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍۖ فَمَن يَهْدِي مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: أن أهل الشرك لما ضرب الله لهم المثل ما وجدوا حجة يجيبون بها، فحينئذٍ ما كان لهم من حجة يحتجون بها إلا اتباع الهوى بجهل وغباء وقلة علم وفهم، فماذا تصنع لهؤلاء يا رسول الله؟ ماذا تصنع لهؤلاء الذين أضلهم الله سبحانه وتعالى وأغواهم، وليس لهم يوم القيامة من نصير ينصرهم ولا من مغيث يغيثهم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ما ذلك كذلك، ولا أشرك هؤلاء المشركون في عبادة الله الآلهة والأوثان؛ لأن لهم شركاء فيما رزقهم الله من ملك أيمانهم، فهم وعبيدهم فيه سواء يخافون أن يقاسموهم ما هم شركاؤهم فيه، فرضوا لله من

أجل ذلك بما رضوا به لأنفسهم، فأشركوهم في عبادته، ولكن الذين ظلموا أنفسهم فكفروا بالله، اتبعوا أهواءهم جهلًا منهم لحقّ الله عليهم، فأشركوا الآلهة والأوثان في عبادته، ﴿فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ يقول: فمن يسدّد للصواب من الطرق، يعني بذلك من يوفق للإسلام مَن أضلّ الله عن الاستقامة والرشاد ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يقول: وما لمن أضلّ الله من ناصرين ينصرونه، فينقذونه من الضلال الذي يبتليه به تعالى ذكره.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَهۡوَآءَهُم بِغَيۡرِ عِلۡمٖۖ﴾ لما قامت عليهم الحجة ذكر أنهم يعبدون الأصنام باتباع أهوائهم في عبادتها وتقليد الأسلاف في ذلك ﴿فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ أي لا هادي لمن أضله الله تعالى وفي هذا رد على القدرية ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال تعالى: مبينا أن المشركين إنما عبدوا غيره سَفَهًا من أنفسهم وجهلا ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ﴾ أي: المشركون ﴿أَهۡوَآءَهُم﴾ أي: في عبادتهم الأنداد بغير علم، ﴿فَمَن يَهۡدِي مَنۡ أَضَلَّ ٱللَّهُۖ﴾ أي: فلا أحد يهديهم إذا كتب الله إضلالهم، ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ أي: ليس لهم من قدرة الله منقذ ولا مجير، ولا محيد لهم عنه؛ لأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: فأخلص نيتك وسدد وجهتك واجتهد

في القيام بأعمال هذا الدين وإقامة فرائضه وواجباته وسننه مؤمنًا بالله مُوحدًا مائلًا عن الشرك إلى التوحيد، فتلك الحنيفية، ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ التوحيد وترك الشرك، وتلك هي الفطرة التي فطر الله الناس عليها وهي إسلام الوجه لله عَجَّلَ وتوحيده فلا تبدلوا دين الله ولا تغيروه، فإسلام الوجه لله وتوحيده هو الدين المستقيم الذي لا قيام للناس إلا به ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فسدّد وجهك نحو الوجه الذي وجهك إليه ربك يا محمد لطاعته، وهي الدين، ﴿حَنِيفًا﴾ يقول: مستقيمًا لدينه وطاعته ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ يقول: صنعة الله التي خلق الناس عليها، ونصبت «فطرة» على المصدر من معنى قوله: (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ وذلك أن معنى ذلك: فطر الله الناس على ذلك فطرة.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ قال: الإسلام مُذ خلقهم الله من آدم جميعًا، يقرّون بذلك، وقرأ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُواْ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، قال: فهذا قول الله: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ٢١٣] بعد.

وقال:

وقوله: (لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ) يقول: لا تغيير لدين الله؛ أي لا يصلح ذلك، ولا ينبغي أن يفعل.

وأورد الطبري قولًا آخر فقال:

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لا تغيير لخلق الله من البهائم، بأن يخصى

الفحول منها.

وقال:

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ يقول تعالى ذكره: إن إقامتك وجهك للدين حنيفا، غير مغير ولا مبدّل، هو الدين القيم، يعني: المستقيم الذي لا عوج فيه عن الاستقامة من الحنيفية إلى اليهودية والنصرانية، وغير ذلك من الضلالات والبدع المحدثة.

وقد وجَّه بعضهم معنى الدين في هذا الموضع إلى الحساب.

وقال:

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الدين الذي أمرتك يا محمد به بقولي ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ هو الدين الحقّ دون سائر الأديان غيره.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: فسدد وجهك واستمر على الدين الذي شرعه الله لك، من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها، وكملها لك غاية الكمال، وأنت مع ذلك لازم فطرتك السليمة، التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده، وأنه لا إله غيره، كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، وفي الحديث: «**إني خلقت عبادي حُنَفاء، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم**». وسنذكر في الأحاديث أن الله تعالى فطر خلقه على الإسلام، ثم طرأ على بعضهم الأديان الفاسدة كاليهودية أو النصرانية أو المجوسية.

وقوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ قال بعضهم: معناه لا تبدلوا خلق الله، فتغيروا

الناس عن فطرتهم التي فطرهم الله عليها. فيكون خبراً بمعنى الطلب، كقوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، وهذا معنى حسن صحيح.

وقال آخرون: هو خبر على بابه، ومعناه: أنه تعالى ساوى بين خلقه كلهم في الفطرة على الجبلة المستقيمة، لا يولد أحد إلا على ذلك، ولا تفاوت بين الناس في ذلك؛ ولهذا قال ابن عباس، وإبراهيم النَّخَعي، وسعيد بن جُبَيْر، ومجاهد، وعِكْرِمة، وقتادة، والضحاك، وابن زيد في قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ أي: لدين الله.

وقال البخاري: قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾: لدين الله، خَلْقُ الأولين: دين الأولين، والدين والفطرة: الإسلام.

حدثنا عبدان، أخبرنا عبد الله، أخبرنا يونس، عن الزهري، أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**ما من مولود يولد إلا على الفطرة، فأبواه يُهَوِّدَانه أو يُنَصِّرانه أو يُمَجسانه، كما تُنْتِج البهيمة بهيمة جَمْعاء، هل تحسون فيها من جدعاء**»؟ ثم يقول: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾.

وأورد الحافظ ابن كثير حديث عياض بن حمار:

أن رسول الله ﷺ خطب ذات يوم فقال في خطبته: «**إن ربي** ﷻ **أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا، كل مال نحلته عبادي حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم، وإنهم أتتهم الشياطين فأضلتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحللت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانًا**».

وقال القرطبي:

والخطاب بـ أقم وجهك للنبي ﷺ أمره بإقامة وجهه للدين المستقيم

(٢٢٦) أحمر
أسود

كما قال: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ [الروم: ٤٣] وهو دين الإسلام وإقامة الوجه هو تقويم المقصد والقوة على الجد في أعمال الدين وخص الوجه بالذكر لأنه جامع حواس الإنسان وأشرفه ودخل في هذا الخطاب أمته باتفاق من أهل التأويل، وحنيفًا معناه معتدلًا، مائلًا عن جميع الأديان المحرفة المنسوخة.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف العلماء في معنى الفطرة المذكرة في الكتاب والسنة على أقوال متعددة منها الإسلام قاله أبو هريرة وابن شهاب وغيرهما قالوا: وهو المعروف عند عامة السلف من أهل التأويل واحتجوا بالآية وحديث أبي هريرة وعضدوا ذلك بحديث عياض بن حمار المجاشعي.

وأورد استدلالات أخر.

ثم قال القرطبي:

وقال آخرون: الفطرة هي البداءة التي ابتدأهم الله عليها أي على ما فطر الله عليه خلقه من أنه ابتدأهم للحياة والموت والسعادة والشقاء وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ، قالوا: والفطرة في كلام العرب البداءة والفاطر: المبتدئ واحتجوا بما روي عن ابن عباس أنه قال: لم أكن أدري ما فاطر السماوات والأرض حتى أتى أعرابيان يختصمان في بئر فقال أحدهما: أنا فطرتها أي ابتدأتها قال المروزي: كان أحمد بن حنبل يذهب إلى هذا القول ثم تركه.

ثم قال القرطبي:

وقالت فرقة: ليس المراد بقوله تعالى: ﴿فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ ولا قوله عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

«**كل مولود يولد على الفطرة**» العموم وإنما المراد بالناس المؤمنون إذ لو فطر الجميع على الإسلام لما كفر أحد وقد ثبت أنه خلق أقوامًا للنار كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٧٩].

وقالت طائفة من أهل الفقه والنظر: الفطرة هي الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه فكأنه قال: كل مولود يولد على خلقة يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة يريد خلقة مخالفة لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفته واحتجوا على أن الفطرة الخلقة والفاطر الخالق؛ لقول الله ﷻ: (ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر: ١]، يعني خالقهن وبقوله: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٢٤] يعني خلقني. وبقوله: ﴿ٱلَّذِى فَطَرَهُنَّ﴾) [الأنبياء: ٥٦] يعني خلقهن قالوا: فالفطرة الخلقة والفاطر الخالق وأنكروا أن يكون المولود يفطر على كفر أو إيمان أو معرفة أو إنكار قالوا: وإنما المولود على السلامة في الأغلب خلقة وطبعا وبنية ليس معها إيمان ولا كفر ولا إنكار ولا معرفة ثم يعتقدون الكفر والإيمان بعد البلوغ إذا ميزوا واحتجوا بقوله في الحديث: «**كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء** - يعنى سالمة - **هل تحسون فيها من جدعاء**» يعني مقطوعة الأذن فمثل قلوب بني آدم بالبهائم لأنها تولد كاملة الخلق ليس فيها نقصان ثم تقطع آذانها بعد وأنوفها فيقال: هذه بحائر وهذه سوائب يقول: فكذلك قلوب الأطفال في حين ولادتهم ليس لهم كفر ولا إيمان ولا معرفة ولا إنكار كالبهائم السائمة فلما بلغوا استهوتهم الشياطين فكفر أكثرهم وعصم الله أقلهم، قالوا: ولو كان الأطفال قد فطروا على شيء من الكفر والإيمان في أولية أمورهم ما انتقلوا عنه أبدا وقد نجدهم يؤمنون ثم يكفرون قالوا: ويستحيل في المعقول أن يكون الطفل في حين ولادته يعقل

كفرًا أو إيمانًا؛ لأن الله أخرجهم في حال لا يفقهون معها شيئًا؛ قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْـًٔا﴾ [النحل: ٧٨] فمن لا يعلم شيئًا استحال منه كفر أو إيمان أو معرفة أو إنكار قال أبو عمر بن عبد البر: هذا أصح ما قيل في معنى الفطرة التي يولد الناس عليها.

وأورد أقوالًا أخر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقال:

قوله تعالى: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ أي هذه الفطرة لا تبديل لها من جهة الخالق ولا يجيء الأمر على خلاف هذا بوجه أي لا يشقى من خلقه سعيدًا ولا يسعد من خلقه شقيًّا وقال مجاهد: المعنى: لا تبديل لدين الله.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿۞ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا ۖ كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: فأقيموا وجوهكم يا أهل الإسلام للدين القيم (مُنِيبِينَ إِلَيْهِ) رجاعين إلى الله، توابين مطيعين له، واجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بتوحيده وعدم الشرك به وحافظوا على الصلاة واحذروا الشرك بالله ولا تدخلوا في عداد أهل الشرك، ولا تكونوا من الذين فرقوا دينهم وكانوا فرقًا وأحزابًا وشيعًا وهم اليهود والنصارى الذين افترقوا فرقًا كما جاء الخبر عن رسول الله □: «**افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة**».

أما قوله: ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ فحاصل معناه أن كل طائفة وكل فرقة من هذه الفرق التي تفرق إليها اليهود والنصارى فرحون بباطلهم وبدعهم وضلالهم.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ تائبين راجعين إلى الله مقبلين.

وأورد بإسناد صحيح عن ابن زيد في قوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾ قال: المنيب إلى الله: المطيع لله، الذي أناب إلى طاعة الله وأمره، ورجع عن الأمور التي كان عليها قبل ذلك، كان القوم كفارًا، فنزعوا ورجعوا إلى الإسلام.

ثم قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وتأويل الكلام: فأقم وجهك يا محمد للدين حنيفًا، منيبين إليه إلى الله، فالمنيبون حال من الكاف التي في وجهك.

فإن قال قائل: وكيف يكون حالًا منها، والكاف كناية عن واحد، والمنيبون صفة لجماعة؟ قيل: لأن الأمر من الكاف كناية اسمه من الله في هذا الموضع أمر منه له ولأمته، فكأنه قيل له: فأقم وجهك أنت وأمتك للدين حنيفًا لله، منيبين إليه.

وقوله: ﴿وَٱتَّقُوهُ﴾ يقول جلّ ثناؤه: وخافوا الله وراقبوه، أن تفرّطوا في طاعته، وتركبوا معصيته ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ يقول: ولا تكونوا من أهل الشرك بالله بتضييعكم فرائضه، وركوبكم معاصيه، وخلافكم الدين الذي دعاكم إليه.

وقوله: ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ يقول: ولا تكونوا من المشركين الذين بدّلوا دينهم، وخالفوه ففارقوه ﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ يقول: وكانوا أحزابًا فرقًا كاليهود والنصارى.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾: وهم

اليهود والنصارى.

وبإسناد صحيح عن ابن زيد قال: هؤلاء يهود.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فلو وجِّه قوله: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ﴾ إلى أنه خبر مستأنف منقطع عن قوله: ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾، وأن معناه: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾ أحزابًا، ﴿ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ كان وجهًا يحتمله الكلام.

وقوله: ﴿كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ يقول: كل طائفة وفرقة من هؤلاء الذين فارقوا دينهم الحقّ، فأحدثوا البدع التي أحدثوا ﴿بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾ يقول: بما هم به متمسكون من المذهب، فرحون مسرورون، يحسبون أن الصواب معهم دون غيرهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾ قال ابن زيد، وابن جُرَيْج: أي راجعين إليه، (وَٱتَّقُوهُ) أي: خافوه وراقبوه، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ وهي الطاعة العظيمة، ﴿وَلَا تَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ أي: بل من الموحدين المخلصين له العبادة، لا يريدون بها سواه.

وقوله: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ) أي: لا تكونوا من المشركين الذين قد فرقوا دينهم أي: بدلوه وغيروه وآمنوا ببعض وكفروا ببعض.

وقرأ بعضهم: (**فارقوا دينهم**) أي: تركوه وراء ظهورهم، وهؤلاء كاليهود والنصارى والمجوس وعَبَدة الأوثان، وسائر أهل الأديان الباطلة، مما عدا أهل الإسلام، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ إِنَّمَآ

أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩]، فأهل الأديان قبلنا اختلفوا فيما بينهم على آراء وملَل باطلة، وكل فرقة منهم تزعم أنهم على شيء، وهذه الأمة أيضًا اختلفوا فيما بينهم على نحل كلها ضلالة إلا واحدة، وهم أهل السنة والجماعة، المتمسكون بكتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وبما كان عليه الصدر الأول من الصحابة والتابعين، وأئمة المسلمين في قديم الدهر وحديثه.



قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرّٞ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٞ
مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ٣٣ لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ
٣٤ أَمۡ أَنزَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٗا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشۡرِكُونَ ٣٥ وَإِذَآ
أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ
يَقۡنَطُونَ ٣٦ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ
لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣٧ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ
لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا
لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ
فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ
ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ
عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٤٠ ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ
لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾

[الروم: ٣٣-٤١]

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوۡاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: وإذا أصاب الناس ضرٌّ في أبدانهم أو في أموالهم أو غشيهم موج وهم في البحر فخافوا على أنفسهم الغرق دعوا ربهم ﷻ رجَّاعين إليه مطيعين له يسألونه وحده ويتركون سؤال من سواه ثم إذا أذاقهم منه رحمة؛ عافية، سعةً في الرزق نجاةً من الكرب، إذا جماعة منهم يرجعون إلى الشرك الذي كانوا فيه وينسون نعم الله عليهم ويجحدونها.

وقال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا مسّ هؤلاء المشركين الذين يجعلون مع الله إلها آخر ضرّ، فأصابتهم شدة وجدوب وقحوط ﴿دَعَوۡاْ رَبَّهُم﴾ يقول: أخلصوا لربهم التوحيد، وأفردوه بالدعاء والتضرّع إليه، واستغاثوا به ﴿مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ﴾، تائبين إليه من شركهم وكفرهم ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً﴾ يقول: ثم إذا كشف ربهم تعالى ذكره عنهم ذلك الضرّ، وفرّجه عنهم، وأصابهم برخاء وخصب وسعة، ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنۡهُم﴾ يقول: إذا جماعة منهم ﴿بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ يقول: يعبدون معه الآلهة والأوثان.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى مخبراً عن الناس أنهم في حال الاضطرار يدعون الله وحده لا شريك له، وأنه إذا أسبغ عليهم النعم، إذا فريق منهم في حالة الاختبار يشركون بالله، ويعبدون معه غيره.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ﴾ أي قحط وشدة ﴿دَعَوۡاْ رَبَّهُم﴾ أن يرفع

ذلك عنهم ﴿مُّنِيبِينَ إِلَيۡهِ﴾ قال ابن عباس : مقبلين عليه بكل قلوبهم لا يشركون ومعنى هذا الكلام التعجب عجب نبيه من المشركين في ترك الإنابة إلى الله تعالى مع تتابع الحجج عليهم أي إذا مس هؤلاء الكفار ضر من مرض وشدة دعوا ربهم أي استغاثوا به في كشف ما نزل بهم مقبلين عليه وحده دون الأصنام لعلمهم بأنه لا فرج عندها ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنۡهُ رَحۡمَةً﴾ أي عافية ونعمة ﴿إِذَا فَرِيقٞ مِّنۡهُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ أي يشركون به في العبادة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لِيَكۡفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ٣٤﴾؟

ج: المعنى -والله أعلم- أن أهل الشرك لما مسهم الضرُّ وسألوا الله وحده لا شريك له أن يكشفه عنهم فكشفه عنهم كان شكرهم للنعم هو شركهم بالله وجحودهم لنعم الله، فكانت عاقبة كشف الضر عنهم كفرٌ منهم بالله ﷻ، فقل لهؤلاء تمتعوا بدنياكم الفانية الزائلة وارتكبوا ما شئتم من الكفر والشرك والكبائر والمعاصي فسوف تعلمون مغبة أمركم فسوف تنزلون شر المنازل - النار والعياذ بالله - وعندها ستعلمون أنكم كنتم على ضلالٍ وتتمنون أن لو رجعتم إلى الدنيا لعمل الصالحات ولكن ولات حين مندم ولات حين مناص.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره متوعدًا لهؤلاء المشركين الذين أخبر عنهم أنه إذا كشف الضرّ عنهم كفروا به: ليكفروا بما أعطيناهم، يقول: إذا هم بربهم يشركون، كي يكفروا: أي يجحدوا النعمة التي أنعمتها عليهم، بكشفي عنهم الضرّ الذي

كانوا فيه، وإبدالي ذلك لهم بالرخاء والخصب والعافية، وذلك الرخاء والسعة هو الذي آتاهم تعالى ذكره: الذي قال: ﴿بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ﴾ وقوله: ﴿فَتَمَتَّعُواْ﴾ يقول: فتمتعوا أيها القوم، بالذي آتيناكم من الرخاء والسعة في هذه الدنيا ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ إذا وردتم على ربكم ما تلقون من عذابه، وعظيم عقابه على كفركم به في الدنيا.

وقد قرأ بعضهم: **(فسوف يعلمون)** بالياء، بمعنى: ليكفروا بما آتيناهم، فقد تمتعوا، على وجه الخبر، فسوف يعلمون.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ﴾، هي لام العاقبة عند بعضهم، ولام التعليل عند آخرين، ولكنها تعليل لتقييض الله لهم ذلك.

ثم توعدهم بقوله: ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾، قال بعضهم: والله لو توعدني حارس دَرْب لخفت منه، فكيف والمتوعد هاهنا الذي يقول للشيء كن فيكون.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ﴾ قيل: هي لام كي وقيل: هي لام أمر فيه معنى التهديد كما قال جل وعز: ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩] ﴿فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ تهديد ووعيد وفي مصحف عبد الله **(وليتمتعوا)** أي مكناهم من ذلك لكي يتمتعوا فهو إخبار عن غائب مثل: ليكفروا وهو على خط المصحف خطاب بعد الإخبار عن غائب أي تمتعوا أيها الفاعلون لهذا.



(٢٣٦) أحمر
أسود

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ ۝٣٥﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: أفأنزلنا على هؤلاء المشركين كتابًا فيه الحجة والبرهان لما هم عليه من الشرك فمن ثمَّ فهم مستمسكون بشركهم وضلالهم لكون هذا الكتاب يؤيدهم في شركهم ويُقرهم على شركهم ويأمر بشركهم.

كلا، ما أنزلنا كتابًا أبدًا من عندنا على أي أحدٍ فيه الإقرار للمشركين على شركهم، ولا فيه الأمر باتخاذ إلهًا مع الله ﷻ.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أم أنزلنا على هؤلاء الذين يشركون في عبادتنا الآلهة والأوثان كتابًا بتصديق ما يقولون، وبحقيقة ما يفعلون ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ يقول: فذلك الكتاب ينطق بصحة شركهم، وإنما يعني جلّ ثناؤه بذلك أنه لم ينزل بما يقولون ويفعلون كتابًا، ولا أرسل به رسولًا وإنما هو شيء افتعلوه واختلقوه؛ اتباعًا منهم لأهوائهم.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: قوله: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ يقول: أم أنزلنا عليهم كتابًا فهو ينطق بشركهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال منكرًا على المشركين فيما اختلقوه من عبادة الأوثان بلا دليل ولا حجة ولا برهان. ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾ أي: حجة ﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ أي: ينطق ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾ وهذا استفهام إنكار، أي: لم يكن لهم شيء من ذلك.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾.

ج: هذا– والله أعلم –: بيانٌ لحال كثيرين من الناس، وهم البعيدون عن طريق الله الذين تركوا الإيمان وأقبلوا على الكفر –والعياذ بالله– شأنهم أنهم إذا أنعم الله عليهم بنعمة من المال أو عافية في البدن، أو كثرةٍ في الولد، أو الغيث من السماء إلى غير ذلك من صنوف النعم فرحوا بذلك أشد الفرح، وإذا حلت بهم مصيبة في أبدانهم أو في أموالهم أو في عزيز عليهم، وحلول تلك المصيبة بهم إنما هو بذنوبهم، فعندها يقنطون من رحمة الله وييأسون منها ويظنون أن لا مخرج من ذلك فيصيبهم الهلع والقنوط واليأس لكن، الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليسوا كذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وإذا أصاب الناس منا خصب ورخاء وعافية في الأبدان والأموال، فرحوا بذلك، وإن تصبهم منا شدّة من جدب وقحط وبلاء في الأموال والأبدان ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ يقول: بما أسلفوا من سيئ الأعمال بينهم وبين الله، وركبوا من المعاصي ﴿إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ يقول: إذا هم ييأسون من الفرج، والقنوط: هو الإياس.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾، هذا إنكار على الإنسان من حيث هو، إلا مَنْ عَصَمه الله ووفقه؛ فإن الإنسان إذا أصابته نعمة بَطِر وقال: ﴿ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ﴾ [هود: ١٠]، أي: يفرح في نفسه ويفخر على غيره، وإذا أصابته شدة قَنط وأيس أن يحصل له

بعد ذلك خير بالكلية؛ قال الله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ [هود: ١١]، أي: صبروا في الضراء، وعملوا الصالحات في الرخاء، كما ثبت في الصحيح: «**عجبًا للمؤمن، لا يقضي الله له قضاء إلا كان خيرًا له، إن أصابته سراء شكر فكان خيرًا له، وإن أصابته ضَرَّاء صبر فكان خيرًا له**»(١).

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ﴾ يعني الخصب والسعة والعافية؛ قال يحيى بن سلام النقاش: النعمة والمطر وقيل: الأمن والدعة والمعنى متقارب ﴿فَرِحُواْ بِهَاۖ﴾ أي بالرحمة ﴿وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ﴾ أي بلاء وعقوبة قاله مجاهد. السدي: قحط المطر ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾ أي بما عملوا من المعاصي ﴿إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ﴾ أي ييأسون من الرحمة والفرج قاله الجمهور وقال الحسن: إن القنوط ترك فرائض الله سبحانه وتعالى في السر قنِط يقنَط وهي قراءة العامة وقنَط يقنِط وهي قراءة أبي عمر والكسائي ويعقوب وقرأ الأعمش: قنِط يقنِط بالكسر فيهما مثل حسِب يحسِب والآية صفة للكافر يقنَط عند الشدة ويبطر عند النعمة كما قيل:

كحمار السوء إن أعلفته ... رمح الناس وإن جاع نهق

وكثير ممن لم يرسخ الإيمان في قلبه بهذه المثابة وقد مضى في غير موضع فأما المؤمن فيشكر ربه عند النعمة ويرجوه عند الشدة.



(١) مسلم (٢٩٩٩).

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: أولم ير هؤلاء القانطون من رحمة الله الآيسون من روح الله أن الله ﷻ يوسع في الرزق على من يشاء ويضيِّق على من يشاء فمن ثم لا يقنطوا من رحمة الله ولا يطغيهم الفرح بنعمة الله.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ التصريف من التوسعة أحيانًا إلى التضييق ومن التضييق إلى التوسعة ﴿لَآيَاتٍ﴾ لدلالات على قدرة الله ووحدانيته ولكنها ﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ أي يصدقون بالله وأنه الرزاق وأنه القادر، وأنه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر، والله أعلم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: أولم ير هؤلاء الذين يفرحون عند الرخاء يصيبهم والخصب، وييأسون من الفرج عند شدّة تنالهم، بعيون قلوبهم، فيعلموا أن الشدّة والرخاء بيد الله، وأن الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده فيوسعه عليه، ويقدر على من أراد فيضيقه عليه ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ يقول: إن في بسطه ذلك على من بسطه عليه، وقدره على من قدره عليه، ومخالفته بين من خالف بينه من عباده في الغنى والفقر، لدلالة واضحة لمن صدّق حجج الله وأقرّ بها إذا عاينها ورآها.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ ۚ﴾ أي يوسع الخير في الدنيا لمن يشاء أو يضيق فلا يجب أن يدعوهم الفقر إلى القنوط ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾).

الحث على إكرام القرابات والمساكين وأبناء السبيل

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: فأعط القرابات - يعني: أقرباءك - حقوقهم فلذوي القربى حق، وكذا أعط المساكين حقوقهم، وكذا أبناء السبيل المسافرين الذين انقطعت عنهم النقة وليس لهم من المال ما يرجعون به إلى بلادهم، فذلك الإيتاء خيرٌ للذين يريدون وجه الله ويرجون ثوابه وأولئك الفائزون بمطلوبهم وهو رضوان الله عليهم وجنته التي أعدها لهم، والناجون من المرهوب، وأعظمه سخط الله والنار - عياذًا بالله من النار ومن سخط الله.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فأعط يا محمد ذا القرابة منك حقه عليك من الصلة والبرّ، والمسكين وابن السبيل ما فرض الله لهما في ذلك.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ﴾ يقول تعالى ذكره: إيتاء هؤلاء حقوقهم التي ألزمها الله عباده، خير للذين يريدون الله بإتيانهم ذلك ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾ يقول: ومن يفعل ذلك مبتغيًا وجه الله به، فأولئك هم المنجحون المدركون طلباتهم عند الله، الفائزون بما ابتغوا والتمسوا بإيتائهم إياهم ما آتوا.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا بإعطاء ذي ﴿ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ﴾ أي: من البر والصلة، ﴿وَٱلۡمِسۡكِينَ﴾ وهو: الذي لا شيء له ينفق عليه، أو له شيء لا يقوم بكفايته، ﴿وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ﴾ وهو المسافر المحتاج إلى نفقة وما يحتاج إليه في سفره، ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ﴾ أي: النظر إليه يوم القيامة، وهو الغاية القصوى،

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ أي: في الدنيا وفي الآخرة.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لما تقدم أنه سبحانه يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر أمر من وسع عليه الرزق أن يوصل إلى الفقير كفايته ليمتحن شكر الغني والخطاب للنبي عليه السلام والمراد هو وأمته؛ لأنه قال: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ﴾ وأمر بإيتاء ذي القربى لقرب رحمه وخير الصدقة ما كان على القريب وفيها صلة الرحم وقد فضل رسول الله ﷺ الصدقة على الأقارب على عتق الرقاب فقال لميمونة وقد أعتقت وليدة: «**أما إنك لو أعطيتها أخوالك كان أعظم لأجرك**».

وقال: واختلف في هذه الآية فقيل: إنها منسوخة بآية المواريث وقيل: لا نسخ بل للقريب حق لازم في البر على كل حال وهو الصحيح. قال مجاهد وقتادة: صلة الرحم فرض من الله ﷻ حتى قال مجاهد: لا تقبل صدقة من أحد ورحمه محتاجة وقيل: المراد بالقربى أقرباء النبي ﷺ والأول أصح فإن حقهم مبين في كتاب الله ﷻ في قوله: ﴿فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾ [الأنفال: ٤١] وقيل: إن الأمر بالإيتاء لذي القربى على جهة الندب؛ قال الحسن: حقه المواساة في اليسر وقول ميسور في العسر ﴿وَٱلۡمِسۡكِينَ﴾ قال ابن عباس: أي أطعم السائل الطواف وابن السبيل: الضيف فجعل الضيافة فرضًا وقد مضى جميع هذا مبسوطًا مبينًا في مواضعه والحمد لله.

وقال: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ﴾ أي إعطاء الحق أفضل من الإمساك إذا أريد بذلك وجه الله والتقرب إليه ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ أي الفائزون بمطلوبهم من الثواب في الآخرة وقد تقدم في البقرة القول فيه.

من أهدى هدية يريد أكثر منها

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ٣٩﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: وما أعطيتم أيها الناس أناسًا آخرين من عطايا وأحوال تبتغون بها منهم أكثر من الذي أعطيتموهم فذلك لا يربوا، لا يزداد عند الله، ولا يضاعفه الله أما الذي يضاعفه الله فهو المال الذي تزكو به النفس ويبتغى به وجه الله، فهؤلاء المبتغون وجه الله هم الذين يضاعف الله لهم الأجور.

فعلى ذلك فقوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا...) هذا في المال والهدايا التي يعطيها شخص لشخص حتى يُعطيه أكثر منها أي الهدية التي يُرجى من ورائها أعظم منها.

وبنحو هذا قال العلماء.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: وما أعطيتم أيها الناس، بعضكم بعضًا من عطية؛ لتزداد في أموال الناس برجوع ثوابها إليه، ممن أعطاه ذلك، ﴿فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾، يقول: فلا يزداد ذلك عند الله؛ لأن صاحبه لم يعطه من أعطاه مبتغيًا به وجهه ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ﴾ يقول: وما أعطيتم من صدقة تريدون بها وجه الله، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني الذين يتصدّقون بأموالهم ملتمسين بذلك وجه الله ﴿هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ يقول: هم الذين لهم الضعف من الأجر والثواب. من قول العرب: أصبح القوم مسمِنين معطِشين، إذا سمنت إبلهم وعطشت.

وأورد بسندٍ ضعيف عن ابن عباس قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ﴾ قال: هو ما يعطي الناس بينهم بعضهم بعضًا، يعطي الرجل الرجل العطية، يريد أن يعطى أكثر منها.

وأورد بسندٍ صحيح عن سعيد بن جُبير: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ)

قال: هو الرجل يعطي الرجل العطية ليثيبه.

وبسند حسن عن قتادة: ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ ﴾ قال: ما أعطيت من شيء تريد مثابة الدنيا، ومجازاة الناس ذاك الربا الذي لا يقبله الله، ولا يجزي به.

وقال الطبري:

وأما قوله: ﴿وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ﴾ [المدثر: ٦] فهذا للنبيّ خاصة، لم يكن له أن يعطي إلا لله، ولم يكن يعطي ليعطى أكثر منه.

وقال آخرون: إنما عنى بهذا الرجل: يعطي ماله الرجل ليعينه بنفسه، ويخدمه، ويعود عليه نفعه، لا لطلب أجر من الله.

وقال آخرون: هو إعطاء الرجل ماله ليكثر به مال من أعطاه ذلك، لا طلب ثواب الله.

وقال آخرون: ذلك للنبيّ ﷺ خاصة، وأما لغيره فحلال.

وأما قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴾ فإن أهل التأويل قالوا في تأويله نحو الذي قلنا.

وقال:

قوله: ﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ ﴾ قال: هذا الذي يقبله الله ويضعفه لهم عشر أمثالها وأكثر من ذلك.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿ وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن رِّبٗا لِّيَرۡبُوَاْ فِيٓ أَمۡوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرۡبُواْ عِندَ ٱللَّهِۖ ﴾ أي: من أعطى عطية يريد أن يرد الناس عليه أكثر مما أهدى لهم، فهذا لا ثواب له عند الله – بهذا فسره ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وعكرمة، ومحمد بن

(٢٤٤) أحمر
أسود

كعب، والشعبي –وهذا الصنيع مباح وإن كان لا ثواب فيه إلا أنه قد نهى عنه رسول الله ﷺ خاصة، قاله الضحاك، واستدل بقوله: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ﴾ [المدثر: ٦] أي: لا تعط العطاء تريد أكثر منه.

وقال ابن عباس: الربا رباءان، فربا لا يصح يعني: ربا البيع؟ وربا لا بأس به، وهو هدية الرجل يريد فضلها وأضعافها. ثم تلا هذه الآية: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَاْ فِيٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُواْ عِندَ ٱللَّهِ﴾.

وإنما الثواب عند الله في الزكاة؛ ولهذا قال: ﴿وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ﴾ أي: الذين يضاعف الله لهم الثواب والجزاء، كما جاء في الصحيح: «**وما تصدق أحد بِعَدْل تمرة من كسب طيب إلا أخذها الرحمن بيمينه، فَيُرَبِّيها لصاحبها كما يُرَبِّي أحدكم فَلُوّه أو فَصِيلَه، حتى تصير التمرة أعظم من أُحُد**».



س: اذكر بعض أقوال أهل العلم في تأويل قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾.

ج: من تلك الأقوال ما يلي:

قول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره للمشركين به معرّفهم قبح فعلهم، وخبث صنيعهم: الله أيها القوم الذي لا تصلح العبادة إلا له، ولا ينبغي أن تكون لغيره، هو الذي خلقكم ولم تكونوا شيئًا، ثم رزقكم وخوّلكم، ولم تكونوا تملكون قبل ذلك، ثم هو يميتكم من بعد أن خلقكم أحياء، ثم يحييكم من بعد مماتكم لبعث

القيامة.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ للبعث بعد الموت.

وقوله: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ يقول تعالى ذكره: هل من آلهتكم وأوثانكم التي تجعلونهم لله في عبادتكم إياه شركاء من يفعل من ذلكم من شيء، فيخلق، أو يرزق، أو يميت، أو ينشر، وهذا من الله تقريع لهؤلاء المشركين. وإنما معنى الكلام أن شركاءهم لا تفعل شيئًا من ذلك، فكيف يعبد من دون الله من لا يفعل شيئًا من ذلك، ثم برأ نفسه تعالى ذكره عن الفرية التي افتراها هؤلاء المشركون عليه بزعمهم أن آلهتهم له شركاء، فقال جلّ ثناؤه: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ﴾ أي تنزيهًا لله وتبرئة ﴿وَتَعَٰلَىٰ﴾ يقول: وعلوًّا له ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يقول: عن شرك هؤلاء المشركين به.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قَتادة قوله: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ لا والله ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ يسبح نفسه إذ قيل عليه البهتان.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ﴾ أي: هو الخالق الرازق يخرج الإنسان من بطن أمه عريانًا لا علم له ولا سمع ولا بصر ولا قُوَى، ثم يرزقه جميع ذلك بعد ذلك والرياش واللباس والمال والأملاك والمكاسب.

وقوله: ﴿ثُمَّ يُمِيتُكُمْ﴾، أي: بعد هذه الحياة ﴿ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ أي: يوم القيامة.

وقوله: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ أي: الذين تعبدونهم من دون الله. ﴿مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ﴾ أي: لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك، بل الله سبحانه

وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق، والإحياء والإماتة، ثم يبعث الخلائق يوم القيامة؛ ولهذا قال بعد هذا كله: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ أي: تعالى وتقدس وتنزه وتعاظم وجل وعَزّ عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساوٍ، أو ولد أو والد، بل هو الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ﴾ ابتداء وخبر وعاد الكلام إلى الاحتجاج على المشركين وأنه الخالق الرازق المميت المحيي ثم قال على جهة الاستفهام: (هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٍ) لا يفعل ثم نزه نفسه عن الأنداد والأضداد والصاحبة والأولاد بقوله الحق: ﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ) وأضاف الشركاء إليهم لأنهم كانوا يسمونهم بالآلهة والشركاء ويجعلون لهم من أموالهم.



حلول البلايا والمصائب بسبب المعاصي

س: ما المراد بالبر وما المراد بالبحر؟

ج: لأهل العلم في ذلك أقوال:

أظهرها وأولاها بالقبول عندي، والله أعلم، قول من قال إن البر هو الأرض اليابسة التي يسكن عليها ويقيم عليها البشر، ويمشون عليها ويغدون ويروحون ويزرعون ويعملون.

والبحر العذب والمالح، فيدخل فيه بالاصطلاحات المعاصرة البحار والمحيطات والأنهار والبحيرات.

والقول الثاني: أن المراد بالبر البلاد البعيدة عن السواحل والبحر المراد به

القرى الساحلية.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

واختلف أهل التأويل في المراد من قوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ فقال بعضهم: عنى بالبرّ، الفلوات، وبالبحر: الأمصار والقُرى التي على المياه والأنهار.

وقال:

قوله: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ أما البرّ فأهل العمود، وأما البحر فأهل القرى والريف.

وقال آخرون: بل عنى بالبرّ: ظهر الأرض، الأمصار وغيرها، وبالبحر: البحر المعروف.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأولى الأقوال في ذلك بالصواب: أن الله تعالى ذكره، أخبر أن الفساد قد ظهر في البرّ والبحر عند العرب في الأرض القفار، والبحر بحران: بحر ملح، وبحر عذب، فهما جميعًا عندهم بحر، ولم يخصص جلّ ثناؤه الخبر عن ظهور ذلك في بحر دون بحر، فذلك على ما وقع عليه اسم بحر عذبًا كان أو ملحًا وإذا كان ذلك كذلك، دخل القرى التي على الأنهار والبحار.



س: ما المراد بالفساد الذي ظهر في البر؟

ج: المراد – والله تعالى أعلم – : العقوبات التي عاقب الله بها العباد، والمصائب التي أحلّها الله ﷻ بهم وذلك؛ لأن الله قال في آية أخرى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠].

وقال هاهنا: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾، فلذا قلت: إن المراد بالفساد المصائب والعقوبات.

فيدخل في ذلك ما يلي:

* انقطاع الأمطار وهلاك المواشي والجوع والقحط والجدب الذي يُصاب به الخلق.

* ويدخل فيه الأمراض والأسقام والطواعين التي يُصاب بها الخلق.

* ويدخل في ذلك تسلط بعضهم على بعض بالقتل والتشريد وسلب الأموال والخطف والنهب والاغتصاب وقطع الطريق.

ويدخل في ذلك غلاء الأسعار والخسائر في التجارات وتلف المزروعات ونحو ذلك.

ويدخل في ذلك عقوق الأبناء للآباء والأمهات وكل ما من شأنه أن يكون مصيبة وعقوبة داخل في معنى الفساد في البر، والله أعلم.

* وقال بعض العلماء: إن المراد بالمصائب في البر الشرك والكفر والمعاصي والذنوب والكبائر.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ومعنى قوله تعالى: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ أي: بان النقص في الثمار والزروع بسبب المعاصي.

وأورد حديثًا[(١)] في سنده ضعف، وهو «**لَحَدٌّ يقام في الأرض أحب إلى أهلها من أن يمطروا أربعين صباحًا**» وقال:

والسبب في هذا أن الحدود إذا أقيمت، انكف الناس -أو أكثرهم، أو كثير

(١) أخرجه أحمد (٢/ ٣٦٢).

منهم -عن تعاطي المحرمات، وإذا ارتكبت المعاصي كان سببًا في محاق البركات من السماء والأرض؛ ولهذا إذا نزل عيسى عليه السلام، في آخر الزمان فحكم بهذه الشريعة المطهرة في ذلك الوقت، من قتل الخنزير وكسر الصليب ووضع الجزية، - وهو تركها - فلا يقبل إلا الإسلام أو السيف، فإذا أهلك الله في زمانه الدجال وأتباعه ويأجوج ومأجوج، قيل للأرض: أخرجي بركاتك. فيأكل من الرمانة الفئام من الناس، ويستظلون بقَحْفها، ويكفي لبن اللّقحة الجماعةَ من الناس. وما ذاك إلا ببركة تنفيذ شريعة رسول الله ﷺ، فكلما أقيم العدل كثرت البركات والخير.

وثبت في الصحيح: «**إنَّ الفاجر إذا مات تستريح منه العباد والبلاد، والشجر والدواب**»[1].



س: ما المراد بالفساد في البحر؟

ج: من ذلك – والله أعلم-: العقوبات التي يُعاقب الله بها العباد في البحر، والمصائب التي تصيبهم فيه فيدخل في ذلك.

قلة الأسماك التي تصطاد.

ويدخل في ذلك قلة المستخرج من اللؤلؤ والمرجان.

وعموم ما ينتفع به العباد.

ويدخل في ذلك ما يحدث من تسلط قومٍ على قومٍ في البحر كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩].

ويدخل في ذلك الغرق الذي يعتري بعض السفن، والأمواج العالية العنيفة

(١) البخاري (٦٥١٢).

المدمرة التي تغرق البر فضلًا عن البحر، فإن قال قائل كيف يُراد الغرق، والله يقول لعلهم يرجعون، فجوابه لعل الذي لم يغرق يعتبر ويتعظ بغرق الآخرين فيرجع عن غيِّه وشرِّه وفساده، فالمصائب تحلُّ بقوم حتى يتعظ الآخرون، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ [الأحقاف: ٢٧] والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾.

ج: المعنى بما عمله الناس من المعاصي والشرك وبما اكتسبوه منها.



س: وضح المراد بقوله تعالى: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾؟

ج: المراد – والله تعالى أعلم -: ليصيبهم بعقوبات بعض أعمالهم، ليس بكلها.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فتأويل الكلام إذن إذ كان الأمر كما وصفت: ظهرت معاصي الله في كل مكان من برّ وبحر ﴿بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾: أي بذنوب الناس، وانتشر الظلم فيهما.

وقوله: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ﴾ يقول جل ثناؤه: ليصيبهم بعقوبة بعض أعمالهم التي عملوا، ومعصيتهم التي عصوا ﴿لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ﴾ يقول: كي ينيبوا إلى الحقّ، ويرجعوا إلى التوبة، ويتركوا معاصي الله.



س: كثيرًا ما يبتلى العباد لإرجاعهم إلى طريق الله، دلِّل على ذلك؟

ج: تقدمت الأدلة على ذلك مرارًا، وأذكِّر هاهنا ببعضها فمنها:

قوله تعالى: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ فَمَا ٱسْتَكَانُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ﴾.

[المؤمنون: ٧٦]

وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٣٠].

وقوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ..) [الأعراف: ٩٤] إلى غير ذلك من الآيات والله أعلم.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: لعلهم يرجعون عن عصيانهم إلى الطاعة والاستقامة، ولعلهم يرجعون إلى الله مستغفرين تائبين نادمين على ما فعلوه.

أخرج الطبري بسندٍ حسن عن قتادة قال: لعل راجعًا أن يرجع، لعل تائبًا أن يتوب، لعلَّ مستعتبًا أن يستعتب.

قال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقوله: ﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: يبتليهم بنقص الأموال والأنفس والثمرات، اختبارًا منه، ومجازاة على صنيعهم، ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) أي: عن المعاصي، كما قال تعالى: ﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٨].

قَالَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ:

﴿قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم
مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۖ
يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ
يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ
ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِىَ
ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ
رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ ۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا
نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ
كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن
يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن
قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ
مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا
فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ
ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَـٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ
إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَـٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾

[الروم: ٤٢-٥٣]

س: وضح معنى ما يلي:

﴿عَٰقِبَةُ - فَأَقِمْ وَجْهَكَ - ٱلْقَيِّمِ - لَّا مَرَدَّ لَهُۥ - يَصَّدَّعُونَ - يَمْهَدُونَ - وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ - ٱلْفُلْكُ - بِأَمْرِهِۦ - وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ - بِٱلْبَيِّنَٰتِ - فَتُثِيرُ - فَيَبْسُطُهُۥ - كِسَفًا - ٱلْوَدْقَ - مِنْ خِلَٰلِهِۦ - أَصَابَ بِهِۦ - يَسْتَبْشِرُونَ - لَمُبْلِسِينَ - فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا - ٱلصُّمَّ - وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ - بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ - ضَلَٰلَتِهِمْ﴾

ج:

الكلمة	معناها
﴿عَٰقِبَةُ﴾	مآل أمرهم – نهاية أمرهم
﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾	أخلص نيتك وسدد عملك وأصلحه مبتغيًا وجه الله بذلك
﴿ٱلْقَيِّمِ﴾	المستقيم الذي لا اعوجاج فيه الذي لا قيام للخلق بدونه
﴿لَّا مَرَدَّ لَهُۥ﴾	لا مانع له، ولا صارف له
﴿يَصَّدَّعُونَ﴾	ينقسمون قسمين
﴿يَمْهَدُونَ﴾	يصلحون الأماكن التي سيأوون إليها، والمراد يعملون أعمالًا صالحة كي يستريحوا في القبر ويستريحوا يوم القيامة، وفي جنات النعيم، كما تمهد الأم الفراش لطفلها
(وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾	لينزل عليكم المطر فيرحمكم به
﴿ٱلْفُلْكُ﴾	السفن العظيمة

(٢٥٤) أحمر
أسود

﴿بِأَمْرِهِۦ﴾	بإذنه
﴿وَلِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾	لتلتمسوا رزقه
﴿بِٱلْبَيِّنَـٰتِ﴾	بالحجج الواضحات النيِّرات الدالة على صدقهم
﴿فَتُثِيرُ﴾	فتحرك وتنشر
﴿فَيَبْسُطُهُۥ﴾	يمده ويجمعه
﴿كِسَفًا﴾	قطعًا
﴿ٱلْوَدْقَ﴾	المطر
﴿مِنْ خِلَـٰلِهِۦ﴾	من بينه (من بين السحاب)
﴿أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾	أنزله على من يشاء
﴿يَسْتَبْشِرُونَ﴾	يفرحون – يبشر بعضهم بعضًا يأملون رحمة الله ويرجونها
﴿لَمُبْلِسِينَ﴾	لقانطين – لآيسين
﴿فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾	فرأوا الزرع مصفرًّا بعد اخضراره
﴿ٱلصُّمَّ﴾	الذين لا يسمعون
﴿وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾	انصرفوا معرضين
﴿بِهَـٰدِ ٱلْعُمْىِ﴾	بمرشدٍ وموفق العميان الذين اختاروا طريق الباطل
﴿ضَلَـٰلَتِهِمْ﴾	طريقتهم الخاطئة التي يسيرون فيها



الحث على النظر في سير المتقدمين للاعتبار بهم

س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾﴾.

ج: المعنى – والله أعلم-: قل يا رسول الله لهؤلاء المكذبين المعاندين سيروا في الأرض فانظروا إلى العاقبة الوخيمة التي حلَّت بمن كانوا قبلكم فتلك آثارهم الدالة على انتقام الله منهم، ها هي ديار عادٍ وثمود ومدائن قوم لوط، بادية للناظرين، لقد أهلكهم الله بشركهم وبكفرهم وبتكذيبهم وعنادهم وعصيانهم، فاعتبروا يا أهل الشرك من مكة وغيرها أن يصيبكم مثل ما أصابهم.

قال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء المشركين بالله من قومك: سيروا في البلاد، فانظروا إلى مساكن الذين كفروا بالله من قبلكم، وكذّبوا رسلَه، كيف كان آخر أمرهم، وعاقبة تكذيبهم رُسلَ الله وكفرهم، ألم نهلكهم بعذاب منا، ونجعلهم عبرة لمن بعدهم، ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ يقول: فَعَلنا ذلك بهم؛ لأن أكثرهم كانوا مشركين بالله مثلَهم.



الحث على الإخلاص لله وتوحيده

س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم-: فتوجَّه بقلبك يا رسول الله مخلصًا لربك سبحانه وتعالى، توجه إلى هذا الدين دين الإسلام، واعمل بتعاليمه محسنًا

النوايا فهذا هو الدين القيم الذي لا قوام للناس إلا به ولا صلاح لهم في دنياهم وآخرتهم إلا به، أقبل عليه من قبل أن يأتي يوم القيامة الذي لا دافع له ولا راد له، ولا مانع له من الإتيان، كما قال تعالى: ﴿أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾، فعند مجيء يوم القيامة سينقسم الناس إلى قسمين، ويفترقون أهل الإيمان، وأهل الكفر، فقوله: ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ أي: يفترقون، من قولهم: تصدع السقف إذا انفلق، وعندها من كفر في دنياه فعليه إثم كفره يوم القيامة، وهو – عياذًا بالله – نار الخلود.

ومن عمل صالحًا في دنياه، وكان مؤمنًا، فهذا الذي يُمهد لنفسه ويوطئ لنفسه، كي ينزلها منزلًا طيبًا تستريح فيه في قبرها، ويوم بعثها ونشورها، وفي جنات النعيم، فيوم القيامة آت لا محالة لمجازاة أهل الإيمان بصالح أعمالهم مع إيمانهم، ولمجازاة المسيئين بصنيعهم إن الله ﷻ لا يحب أهل الكفر عياذًا بالله من الكفر.

وبنحو الذي ذكر قال أهل التأويل.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فوجِّه وجْهَك يا محمد، نحو الوجه الذي وجَّهك إليه ربك ﴿لِلدِّينِ ٱلْقَيِّمِ﴾ لطاعة ربك، والمِلةِ المستقيمةِ التي لا اعوجاج فيها عن الحقِّ ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ يقول تعالى ذكره: من قبل مجيء يوم من أيام الله لا مردّ له لمجيئه؛ لأن الله قد قضى بمجيئه فهو لا محالة جاء ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ يقول: يوم يجيء ذلك اليوم يصدّع الناسُ، يقول: يتفرّق الناس فرقتين من قولهم: صَدَعتُ الغنم صدعتين: إذا فرقتها فرقتين: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

وأورد بإسنادٍ حسن: عن قَتادة قوله: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ الإسلام ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ فريق في الجنة، وفريق في السعير.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: من كفر بالله فعليه أوزار كفره، وآثام جحوده نِعَمَ ربه، ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا﴾: يقول: ومن أطاع الله، فعمل بما أمره به في الدنيا، وانتهى عما نهاه عنه فيها ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ يقول: فلأنفسهم يستعدون، ويسوّون المضجع ليسلموا من عقاب ربهم، وينجوا من عذابه، كما قال الشاعر:

امْهِدْ لنفْسِكَ حانَ السُّقْمُ والتَّلَفُ وَلا تُضَيِّعَنَّ نَفْسا مَا لَها خَلَفُ

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾.

يقول تعالى ذكره: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ ... لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ بالله ورسوله ﴿وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ يقول: وعملوا بما أمرهم الله ﴿مِن فَضْلِهِ﴾ الذي وعد من أطاعه في الدنيا أن يجزيه يوم القيامة ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ يقول تعالى ذكره: إنما خصّ بجزائه من فضله الذين آمنوا وعملوا الصالحات دون من كفر بالله، إنه لا يحبّ أهل الكفر به. واستأنف الخبر بقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾ وفيه المعنى الذي وصفت.

وقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ قال الزجاج: أي أقم قصدك واجعل جهتك اتباع الدين القيم يعني الإسلام وقيل: المعنى أوضح الحق وبالغ في الإعذار واشتغل بما أنت فيه ولا تحزن عليهم ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ﴾

أي لا يرده الله عنهم فإذا لم يرده لم يتهيأ لأحد دفعه ويجوز عند غير سيبويه لا مرد له وذلك عند سيبويه بعيد إلا أن يكون في الكلام عطف والمراد يوم القيامة ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾ قال ابن عباس: معناه يتفرقون وقال الشاعر:

وكنا كندماني جذيمة حقبة   من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

أي لن يتفرقا نظيره قوله تعالى: ﴿يَوۡمَئِذٖ يَتَفَرَّقُونَ﴾ ﴿فَرِيقٞ فِي ٱلۡجَنَّةِ وَفَرِيقٞ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧] والأصل يتصدعون ويقال: تصدع القوم إذا تفرقوا ومنه اشتق الصداع لأنه يفرق شعب الرأس.

وقال في: قوله تعالى: (مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ) أي جزاء كفره ﴿وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾ أي يوطئون لأنفسهم في الآخرة فراشا ومسكنا وقرارا بالعمل الصالح ومنه: مهد الصبي والمهاد الفراش وقد مهدت الفراش مهدا: بسطته ووطأته وتمهيد الأمور: تسويتها وإصلاحها وتمهيد العذر: بسطه وقبوله والتمهد: التمكن وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد: (فَلِأَنفُسِهِمۡ يَمۡهَدُونَ﴾ قال: في القبر.

وقال في قوله تعالى: ﴿لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ أي يمهدون لأنفسهم ليجزيهم الله من فضله وقيل: يصدعون ليجزيهم الله أي ليميز الكافر من المسلم ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى آمرًا عباده بالمبادرة إلى الاستقامة في طاعته، والمبادرة إلى الخيرات: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ ٱلۡقَيِّمِ مِن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ﴾ أي: يوم القيامة، إذا أراد كونه فلا رادَّ له، ﴿يَوۡمَئِذٖ يَصَّدَّعُونَ﴾ أي: يتفرقون، ففريق في الجنة وفريق في السعير؛ ولهذا قال: ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَمَنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِأَنفُسِهِمۡ

يَمۡهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجۡزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضۡلِهِۦٓۚ﴾ أي: يجازيهم مجازاة الفضل: الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، إلى ما يشاء الله، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾، ومع هذا هو العادل فيهم، الذي لا يجور.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ﴿٤٦﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم –: ومن حججه الدالة على وحدانيته وعلى قدرته على كل شيء إرساله ﷻ الرياح بين يدي المطر، وقبل نزول المطر مبشراتٍ بنزوله ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾، أي: وينزل عليكم المطر الذي هو رحمة يرحمكم الله بها، فيحيي الله به البلاد والعباد فتنبت الأرض وتخرج ثمرتها وترعى الدواب وتأتي بألبانها وتتكاثر وتتنامى، وكذا يرسل الرياح لتجري السفن العظيمة في البحر بأمر الله وتسييره لها، ولتلتمسوا فضل الله بالتجارات والأسفار التي تستجلبون بها رزق الله، ولتقدموا لله ﷻ شكرًا على نعمائه.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ومن أدلته على وحدانيته، وحججه عليكم، على أنه إله كلّ شيء ﴿أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ﴾ بالغيث والرحمة ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ يقول: ولينزل عليكم من رحمته، وهي الغيث الذي يحيي به البلاد، ولتجري السفن في البحار بها بأمره إياها ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ يقول: ولتلتمسوا من أرزاقه ومعايشكم التي قسمها بينكم ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ يقول: ولتشكروا ربكم على ذلك، أرسل هذه الرياح مبشرات.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يذكر تعالى نعَمه على خلقه، في إرساله الرياح مبشرات بين يدي رحمته، بمجيء الغيث عقيبها؛ ولهذا قال: ﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ أي: المطر الذي ينزله فيحيي به العباد والبلاد، ﴿وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ بِأَمۡرِهِۦ﴾ أي: في البحر، وإنما سيرها بالريح، ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ أي: في التجارات والمعايش، والسير من إقليم إلى إقليم، وقطر إلى قطر، ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ أي: تشكرون الله على ما أنعم به عليكم من النعم الظاهرة والباطنة، التي لا تعد ولا تحصى.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرۡسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٖ﴾ أي ومن أعلام كمال قدرته إرسال الرياح مبشرات أي بالمطر؛ لأنها تتقدمه وقد مضى في الحجر بيانه (وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحۡمَتِهِۦ﴾ يعني الغيث والخصب ﴿وَلِتَجۡرِيَ ٱلۡفُلۡكُ﴾ أي في البحر عند هبوبها وإنما زاد بأمره لأن الرياح قد تهب ولا تكون مواتية فلا بد من إرساء السفن والاحتيال بحبسها وربما عصفت فأغرقتها بأمره ﴿وَلِتَبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِهِۦ﴾ يعني الرزق بالتجارة ﴿وَلَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ هذه النعم بالتوحيد والطاعة وقد مضى هذا كله مبينًا.



س: وضح المستفاد من قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوۡمِهِمۡ فَجَآءُوهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمۡنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْۖ وَكَانَ حَقًّا عَلَيۡنَا نَصۡرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٤٧﴾.

ج: المستفاد من ذلك مواساة النبي ﷺ وكذا مواساة أهل الإيمان، فإن كنت كُذِّبت يا رسول الله، فقد كُذِّب إخوانك المرسلون مع كونهم أتوا أممهم بالبينات والحجج على صدقهم ومع ذلك فقد كذبتهم أقوامهم كما كذبك قومك فصبروا فاصبر يا رسول الله كما صبر إخوانك، فإننا سننتقم من

المكذبين من قومك كما انتقمنا من أهل الإجرام الذين كذبوا رسلنا، فقد كان لأهل الإيمان علينا أن ننصرهم، حق لهم علينا أن ننصرهم، فهو حق أوجبه الله على نفسه تكرمًا منه وفضلًا كما قال: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤]، والله أعلم.

ثم هذه بعض أقوال العلماء في ذلك:

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره مسليًا نبيه ﷺ، فيما يلقى من قومه من الأذى فيه بما لقي من قبله من رسله من قومهم، ومعلمه سنته فيهم، وفي قومهم، وأنه سالك به وبقومه سنته فيهم، وفي أممهم: ولقد أرسلنا يا محمد من قبلك رسلًا إلى قومهم الكفرة، كما أرسلناك إلى قومك العابدي الأوثان من دون الله ﴿فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ يعني: بالواضحات من الحجج على صدقهم، وأنهم لله رسل، كما جئت أنت قومك بالبينات فكذّبوهم، كما كذّبك قومك، وردّوا عليهم ما جاءوهم به من عند الله، كما ردّوا عليك ما جئتهم به من عند ربك، ﴿فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ۖ﴾ يقول: فانتقمنا من الذين أجرموا الآثام، واكتسبوا السيئات من قومهم، ونحن فاعلو ذلك كذلك بمجرمي قومك، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ يقول: ونجّينا الذين آمنوا بالله وصدّقوا رسله، إذ جاءهم بأسنا، وكذلك نفعل بك وبمن آمن بك من قومك، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ على الكافرين، ونحن ناصروك ومن آمن بك على مَن كفر بك، ومظفروك بهم.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ثم قال: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ۖ﴾ هذه تسلية من الله لعبده ورسوله محمد، صلوات الله وسلامه عليه، بأنه وإن

كذبه كثير من قومه ومن الناس، فقد كُذّبت الرسل المتقدمون مع ما جاءوا أممهم به من الدلائل الواضحات، ولكن الله انتقم ممن كذبهم وخالفهم، وأنجى المؤمنين بهم، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، هو حقّ أوجبه على نفسه الكريمة، تكرمًا وتفضلًا كقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾ [الأنعام: ٥٤].

وأورد ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديثًا ضعيفًا في هذا الصدد.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ أي: المعجزات والحجج النيرات ﴿فَٱنتَقَمْنَا﴾ أي فكفروا فانتقمنا ممن كفر (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ حقًّا نصب على خبر كان ونصر اسمها وكان أبو بكر يقف على حقًّا أي وكان عقابنا حقًّا ثم قال: (عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ابتداء وخبر أي أخبر بأنه لا يخلف الميعاد ولا خلف في خبرنا.



س: وضح معنى هذه الآيات: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ﴿٥١﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: الله سبحانه وتعالى هو الذي يرسل الرياح فتُنشئ سحابًا وتحركه وتجمعه ويمدُّه ويكثره في السماء على الوجه الذي يُريد، ويجعله قطعًا وكذا يجعله متراكمًا بعضه فوق بعض فترى قطرات المطر تخرج من بينه فإذا أنزله على قوم يريد سبحانه وتعالى أن ينزل عليهم

إذا هم يفرحون ويبشر بعضهم بعضًا بنزوله، وإن كان من قبل نزوله عليهم لآيسين قانطين من رحمة الله مكتئبين حزنين، فانظر يا عبد الله إلى آثار هذا المطر الذي أنزله الله رحمة لعباده انظر إلى الأرض وكيف أصبحت مخضرة!!

وانظر إليها وقد أنبتت من كل زوج بهيج من كل صنف جميل حسن، انظر إليها وقد أخرجت ثمرتها وأنبتت غلتها!

وخرج منها الحب ذو العصف والريحان!

وخرج منها صنوف الفواكه والخضراوات!

وخرجت منها النخل الباسقات!

وكذا الجنات من النخيل والأعناب والزيتون والرمان وغير ذلك كثير وكثير وكثير.

إن الذي فعل ذلك بالأرض، أحياها بعد موتها لمحيي الموتى يوم القيامة بعد موتتهم التي ماتوها في الدنيا، وهو على كل شيء قدير.

* ثم بين الله ﷻ حال الإنسان، وأنه إذا تحولت عنه نعمة الله، بإرسال ريح – مثلًا- فأتلفت الزروع والثمار لكفر بالله، وكفر نعم الله ﷻ وجحدها.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

وقال الطبري رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾ يقول: فتنشئ الرياح سحابًا، وهي جمع سحابة، ﴿فَيَبۡسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيۡفَ يَشَآءُ﴾ يقول: فينشره الله، ويجمعه في السماء كيف يشاء، وقال: ﴿فَيَبۡسُطُهُۥ﴾ فوحد الهاء، وأخرج مخرج كناية المذكر، والسحاب جمع كما وصفت، ردًّا على لفظ السحاب، لا على

معناه، كما يقال: هذا تمر جيد.

وأورد بسند حسن عن قتادة: ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ ويجمعه.

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾: يقول: ويجعل السحاب قِطعًا متفرّقة.

وأورد بسند حسن عن قتادة قال: ﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾: أي قطعًا.

قال: وقوله: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ﴾ يعني: المطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ) يعني: من بين السحاب.

وقوله: ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) يقول: فإذا صرف ذلك الودق إلى أرض من أراد صرفه إلى أرضه من خلقه؛ رأيتهم يستبشرون؛ بأنه صرف ذلك إليهم ويفرحون.

قوله تعالى: ﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴾.

يقول تعالى ذكره: وكان هؤلاء الذين أصابهم الله بهذا الغيث من عباده، من قبل أن ينزل عليهم هذا الغيث، من قبل هذا الغيث ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾ يقول: لمكتئبين حزنين؛ باحتباسه عنهم.

وأورد بسند حسن عن قتادة: ﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ): أي قانطين.

وقال: في تأويل قوله تعالى: ﴿ فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ).

فتأويل الكلام إذًا: فانظر يا محمد إلى آثار الغيث الذي ينزل الله من السحاب، كيف يحيي به الأرض الميتة، فينبتها ويعشبها، من بعد موتها ودثورها، ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾. يقول جلّ ذكره: إن الذي يحيي هذه الأرض بعد موتها بهذا الغيث لمحيي الموتى من بعد موتهم، وهو على كلّ

شيء مع قدرته على إحياء الموتى قدير، لا يعزّ عليه شيء أراده، ولا يمتنع عليه فعل شيء شاءه سبحانه.

وقال:

في تأويل قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾.

يقول تعالى ذكره: ولئن أرسلنا ريحًا مفسدةً ما أنبته الغيث الذي أنزلناه من السماء، فرأى هؤلاء الذين أصابهم الله بذلك الغيث الذي حيت به أرضوهم، وأعشبت ونبتت به زروعهم، ما أنبتته أرضوهم بذلك الغيث من الزرع مصفرًّا، قد فسد بتلك الريح التي أرسلناها، فصار من بعد خضرته مصفرًّا، لظلوا من بعد استبشارهم، وفرحتهم به يكفرون بربهم.

وقال الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يبين تعالى كيف يخلق السحاب التي ينزل منها الماء فقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا﴾، إما من البحر على ما ذكره غير واحد، أو مما يشاء الله عَزَّوَجَلَّ. ﴿فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ﴾ أي: يَمُدّه فيكثّرهُ ويُنَمّيه، ويجعل من القليل كثيرًا، ينشئ سحابة فترى في رأي العين مثل الترس، ثم يبسطها حتى تملأ أرجاء الأفق. وتارة تأتي السحاب من نحو البحر ثقالًا مملوءة ماء، كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]، وكذلك قال هاهنا: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا﴾. قال مجاهد، وأبو عمرو بن العلاء، ومطر الوَرّاق، وقتادة: يعني قطعًا.

وقال غيره: متراكمًا، قاله الضحاك.

وقال غيره: أسود من كثرة الماء، تراه مدلهمًّا ثقيلًا قريبًا من الأرض.

وقوله: ﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ أي: فترى المطر -وهو القَطر- يخرج من بين ذلك السحاب، ﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: لحاجتهم إليه يفرحون بنزوله عليهم ووصوله إليهم.

وقوله: ﴿وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾، معنى الكلام: أن هؤلاء القوم الذين أصابهم هذا المطر كانوا أزلين قَنطين من نزول المطر إليهم قبل ذلك، فلما جاءهم، جاءهم على فاقة، فوقع منهم موقعًا عظيمًا.

وقد اختلف النحاة في قوله: ﴿مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ﴾، فقال ابن جرير: هو تأكيد. وحكاه عن بعض أهل العربية.

وقال آخرون: وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم المطر، ﴿مِّن قَبْلِهِۦ﴾ أي: الإنزال ﴿لَمُبْلِسِينَ﴾.

ويحتمل أن يكون ذلك من دلالة التأسيس، ويكون معنى الكلام: أنهم كانوا محتاجين إليه قبل نزوله، ومن قبله -أيضًا- قد فات عندهم نزوله وقتًا بعد وقت، فترقبوه في إبانه فتأخر، فمضت مدة فترقبوه فتأخر، ثم جاءهم بغتة بعد الإياس منه والقنوط، فبعد ما كانت أرضهم مقشعرة هامدة أصبحت وقد اهتزت وربت، وأنبتت من كل زوج بهيج؛ ولهذا قال: ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ﴾ يعني: المطر ﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾.

ثم نبه بذلك على إحياء الأجساد بعد موتها وتفرقها وتمزقها، فقال: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ أي: إن الذي فعل ذلك لقادر على إحياء الأموات، ﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ثم قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ﴾، يقول

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾ يابسة على الزرع الذي زرعوه، ونبت وشب واستوى على سوقه، فرأوه مصفرًّا، أي: قد اصفر وشرع في الفساد، لظلوا من بعده، أي: بعد هذا الحال يكفرون، أي: يجحدون ما تقدم إليهم من النعم، كما قال: ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الواقعة: ٦٣ -٦٧].



س: هل الموتى يسمعون؟

ج: لأهل العلم في ذلك قولان أوضحتهما عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ من سورة فاطر فارجع إليه إن شئت.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾﴾؟

ج: المعنى – والله أعلم-: فإنك يا رسول الله إذا كلمت الموتى ما سمعوا كلامك، وكذلك إذا كان عندك أصم لا يسمع فانصرف عنك وأدبر وناديته لما انصرف ما سمع دعاءك ولا استجاب لك وكذلك إذا كان هناك أعمى سلك طريق الغواية والضلال فناديته كي يرجع إليك ما رجع إليك وما سلك طريق الهداية، وإنما أنت تهدي وتُسمع ويتقبل منك من آمن بآياتنا التي أنزلناها إليك وصدق بها فهذا هو المسلم المنتفع.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ﴿فَإِنَّكَ﴾ يا محمد، ﴿لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ يقول: لا تجعل لهم

أسماعًا يفهمون بها عنك ما تقول لهم، وإنما هذا مثل معناه: فإنك لا تقدر أن تفهم هؤلاء المشركين الذين قد ختم الله على أسماعهم، فسلبهم فهم ما يُتلى عليهم من مواعظ تنزيله، كما لا تقدر أن تفهم الموتى الذين قد سلبهم الله أسماعهم بأن تجعل لهم أسماعًا.

وقوله: ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ﴾ يقول: وكما لا تقدر أن تُسمع الصمّ الذين قد سلبوا السمع الدعاء إذا هم ولوا عنك مدبرين، كذلك لا تقدر أن توفق هؤلاء الذين قد سلبهم الله فهم آيات كتابه، لسماع ذلك وفهمه.

وأورد بسند حسن عن قَتادة قوله: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: هذا مثل ضربه الله للكافر، فكما لا يسمع الميت الدعاء، كذلك لا يسمع الكافر، ﴿وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ﴾ يقول: لو أن أصمَّ ولى مدبرًا ثم ناديته لم يسمع، كذلك الكافر لا يسمع، ولا ينتفع بما يسمع.

وقوله: (وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ) يقول تعالى ذكره: وما أنت يا محمد بمسدّد من أعماه الله عن الاستقامة ومحجة الحقّ فلم يوفقه لإصابة الرشد فصارفه عن ضلالته التي هو عليها، وركوبه الجائر من الطرق إلى سبيل الرشاد، يقول: ليس ذلك بيدك ولا إليك، ولا يقدر على ذلك أحد غيري؛ لأني القادر على كل شيء. وقيل: ﴿بِهَٰدِ ٱلْعُمْيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ) ولم يقل: من ضلالتهم، لأن معنى الكلام ما وصفت من أنه: وما أنت بصارفهم عنه، فحمل على المعنى. ولو قيل: من ضلالتهم، كان صوابًا. وكان معناه: ما أنت بمانعهم من ضلالتهم.

وقوله: ﴿إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾ يقول تعالى ذكره لنبيه: ما تسمع السماع الذي ينتفع به سامعه فيعقله إلا من يؤمن بآياتنا لأن الذي يؤمن بآياتنا إذا سمع

كتاب الله تدبَّره وفهمه وعقله، وعمل بما فيه، وانتهى إلى حدود الله الذي حدّ فيه، فهو الذي يسمع السماع النافع.

وقوله: ﴿فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾ يقول: فهم خاضعون لله بطاعته، متذللون لمواعظ كتابه.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى: كما أنك ليس في قدرتك أن تسمع الأموات في أجداثها، ولا تبلغ كلامَك الصم الذين لا يسمعون، وهم مع ذلك مُدْبِرُون عنك، كذلك لا تقدر على هداية العميان عن الحق وردهم عن ضلالتهم، بل ذلك إلى الله تعالى، فإنه بقدرته يسمع الأموات أصوات الأحياء إذا شاء، ويهدي مَنْ يشاء، ويضل مَنْ يشاء، وليس ذلك لأحد سواه؛ ولهذا قال: ﴿إِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسۡلِمُونَ﴾ أي: خاضعون مستجيبون مطيعون، فأولئك هم الذين يستمعون الحق ويتبعونه، وهذا حال المؤمنين، والأول مَثَلُ الكافرين، كما قال تعالى: ﴿۞إِنَّمَا يَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ يَسۡمَعُونَۘ وَٱلۡمَوۡتَىٰ يَبۡعَثُهُمُ ٱللَّهُ ثُمَّ إِلَيۡهِ يُرۡجَعُونَ﴾ [الأنعام: ٣٦].

وقد استدلت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا بهذه الآية: ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسۡمِعُ ٱلۡمَوۡتَىٰ﴾، على توهيم عبد الله بن عمر في روايته مخاطبة النبي ﷺ القتلى الذين ألقوا في قَلِيب بدر، بعد ثلاثة أيام، ومعاتبته إياهم وتقريعه لهم ، حتى قال له عمر: يا رسول الله، ما تخاطب من قوم قد جَيَّفوا؟ فقال: «**والذي نفسي بيده، ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكن لا يجيبون**». وتأولته عائشة على أنه قال: «إنهم الآن ليعلمون أن ما كنت أقول لهم حق».

وقال قتادة: أحياهم الله له حتى سمعوا مقالته تقريعًا وتوبيخًا ونقمة.

والصحيح عند العلماء رواية ابن عمر، لما لها من الشواهد على صحتها

(٢٧٠) أحمر
أسود

من وجوه كثيرة.



قَالَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ:

﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ
بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ ٥٤ وَيَوۡمَ تَقُومُ
ٱلسَّاعَةُ يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيۡرَ سَاعَةٖۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤۡفَكُونَ ٥٥
وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا
يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ٥٦ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ
مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٥٧ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ
مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ
٥٨ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٩ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ
وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠ ﴾

[الروم: ٥٤-٦٠]

(٢٧٢) أحمر
أسود

س: وضح معنى ما يلي:

﴿ضَعْفٍ - وَشَيْبَةً - مَا لَبِثُوا - يُؤْفَكُونَ - يَوْمِ الْبَعْثِ - مَعْذِرَتُهُمْ - وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ - مُبْطِلُونَ - وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ - لَا يُوقِنُونَ﴾.

ج:

الكلمة	معناها
﴿ضَعْفٍ﴾	شيء ضعيف، والمراد هنا قطرة المنيِّ، وقيل: المراد في حال كونكم أطفالًا صغارًا ضعافًا
﴿وَشَيْبَةً﴾	كبر السن الذي معه يشيب الشعر
﴿مَا لَبِثُوا﴾	ما مكثوا (في دنياهم وفي قبورهم)
﴿يُؤْفَكُونَ﴾	يكذبون - يُصرفون عن الحق إلى الباطل
﴿يَوْمِ الْبَعْثِ﴾	يوم القيامة
﴿مَعْذِرَتُهُمْ﴾	اعتذارهم
﴿وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾	لا يفتح لهم باب للمعاتبة - لا يقبل طلبهم الرجوع إلى الدنيا للعمل الصالح
﴿مُبْطِلُونَ﴾	متبعون الباطل
﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾	لا يستفزنك – لا يخرجنك عن هدوئك وسكينتك
﴿لَا يُوقِنُونَ﴾	لا يصدقون – لا يؤمنون- لا يقرون بالبعث



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾ ﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم -: الله ﷻ الذي يستحق العبادة وحده لا شريك له، هو الذي خلقكم يا بني آدم ﴿مِّن ضَعْفٍ﴾ أي: من نطفة من منيٍّ يُمنى، نطفة من ماءٍ مهين، وكذا خلقكم يوم أن أخرجكم من بطون أمهاتكم ضعفاء، وكذا في طفولتكم عمومًا ضعفًا ثم قوَّاكم وجعلكم شبابًا أقوياء ثم جعل من بعد هذه القوة شيخوخة بما تحمله الشيخوخة من ضعفٍ وخور، ومشيبٍ وتدهور، يفعل ذلك بخلقه ويخلق ما يشاء، وهو العليم بتصريف الأمور، القدير على كل شيء.

قال الطبري $:

يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بالبعث من مشركي قريش، محتجًّا عليهم بأنه القادر على ذلك، وعلى ما يشاء: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم﴾ أيها الناس (مِّن ضَعْفٍ﴾ يقول: من نطفة وماء مهين، فأنشأكم بشرًا سويًّا، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً﴾ يقول: ثم جعل لكم قوّة على التصرّف، من بعد خلقه إياكم من ضعف، ومن بعد ضعفكم بالصغر والطفولة، ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ) يقول: ثم أحدث لكم الضعف بالهرم والكبر عما كنتم عليه أقوياء في شبابكم، وشيبة.

وأورد بسندٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ أي من نطفة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا﴾ الهرم ﴿وَشَيْبَةً ۚ) الشمط.

وقوله: ﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ﴾ يقول تعالى ذكر: يخلق ما يشاء من ضعف وقوّة

وشباب وشيب ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ بتدبير خلقه ﴿ٱلْقَدِيرُ﴾ على ما يشاء، لا يمتنع عليه شيء أراده، فكما فعل هذه الأشياء، فكذلك يميت خلقه ويحييهم إذا شاء. يقول: واعلموا أن الذي فعل هذه الأفعال بقدرته يحيي الموتى إذا شاء.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ينبه تعالى على تنقل الإنسان في أطوار الخلق حالًا بعد حال، فأصله من تراب، ثم من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم يصير عظامًا ثم يُكسَى لحمًا، ويُنفَخ فيه الروح، ثم يخرج من بطن أمه ضعيفًا نحيفًا واهن القوى. ثم يشب قليلًا قليلًا حتى يكون صغيرًا، ثم حَدَثًا، ثم مراهقًا، ثم شابًّا. وهو القوة بعد الضعف، ثم يشرع في النقص فيكتهل، ثم يشيخ ثم يهرم وهو الضعف بعد القوة. فتضعف الهمة والحركة والبطش، وتشيب اللّمَّة، وتتغير الصفات الظاهرة والباطنة؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ﴾ أي: يفعل ما يشاء ويتصرف في عبيده بما يريد، ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ﴾ ذكر استدلالًا آخر على قدرته في نفس الإنسان ليعتبر ومعنى: من ضعف من نطفة ضعيفة وقيل: من ضعف أي في حال ضعف وهو ما كانوا عليه في الابتداء من الطفولة والصغر ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ﴾ يعني الشبيبة ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا﴾ يعني الهرم.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿وَشَيۡبَةٗۚ﴾ مصدر كالشيب والمصدر يصلح للجملة وكذلك القول في الضعف والقوة ﴿يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۖ﴾ يعني من قوة وضعف ﴿وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ﴾ بتدبيره ﴿ٱلۡقَدِيرُ﴾ على إرادته وأجاز النحويون الكوفيون من ضعف بفتح العين وكذا

كل ما كان فيه حرف من حروف الحلق ثانيًا أو ثالثًا.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾﴾.

ج: المعنى – والله تعالى أعلم –: أن الساعة – وهي يوم القيامة – إذا جاءت، وقامت القيامة، وقام الناس من قبورهم أحياءً بعد موتهم يُقسم أهل الشرك أنهم ما لبثوا غير ساعة، وهم في الحقيقة قد مكثوا زمنًا طويلًا، فكما أنهم حلفوا وكذبوا في يمينهم أنهم ما لبثوا غير ساعة، فكذلك كانوا في الدنيا يحلفون كاذبين.

ثم إن العلماء اختلفوا في تفسير قوله تعالى: ﴿مَا لَبِثُواْ﴾ ما المراد به، فقال بعضهم: يقصد أهل الشرك أنهم ما لبثوا في قبورهم غير ساعة واحدة هذا هو الرأي الذي أختاره لما سيأتي من قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ﴾ .

وقال آخرون من أهل العلم: إن مرادهم ما لبثوا في الدنيا غير ساعة واحدة، وهذه أقوال بعض أهل العلم في هذا الباب.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ويوم تجيء ساعة البعث، فيبعث الخلق من قبورهم، يقسم المجرمون، وهم الذين كانوا يكفرون بالله في الدنيا، ويكتسبون فيها الآثام، وإقسامهم: حلفهم بالله ﴿مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ﴾: يقول: يقسمون بأنهم لم يلبثوا في قبورهم غير ساعة واحدة، يقول الله جلّ ثناؤه: كذلك في الدنيا كانوا يؤفكون: يقول: كذبوا في قيلهم وقَسَمِهِم ما لبثنا غير ساعة، كما كانوا في الدنيا

يكذبون ويحلفون على الكذب وهم يعلمون.

وأورد بإسنادٍ حسن عن قتادة: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ أي: يكذبون في الدنيا.

قال الطبري: وإنما يعني بقوله: ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ عن الصدق، ويَصُدُّون عنه إلى الكذب.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يخبر تعالى عن جهل الكفار في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا فعلوا ما فعلوا من عبادة الأوثان، وفي الآخرة يكون منهم جهل عظيم أيضًا، فمنه إقسامهم بالله أنهم ما لبثوا في الدنيا إلا ساعة واحدة، ومقصودهم بذلك عدم قيام الحجة عليهم، وأنهم لم يُنْظَروا حتى يُعذَر إليهم. قال الله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وفي معنى: ﴿مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍۚ﴾ قولان: أحدهما: أنه لا بد من خمدة قبل يوم القيامة فعلى هذا قالوا: ما لبثنا غير ساعة والقول الآخر: أنهم يعنون في الدنيا لزوالها وانقطاعها كما قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾ [النازعات: ٤٦] كأن ﴿لَّمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ﴾ وإن كانوا قد أقسموا على غيب وعلى غير ما يدرون قال الله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ أي كانوا يكذبون في الدنيا يقال : أفك الرجل إذا صرف عن الصدق والخير وأرض مأفوكة : ممنوعة من المطر وقد زعم جماعة من أهل النظر أن القيامة لا يجوز أن يكون فيها كذب لما هم فيه والقرآن يدل على غير ذلك قال الله ﷻ: ﴿كَذَٰلِكَ كَانُوا۟ يُؤْفَكُونَ﴾ أي كما صرفوا عن الحق في قسمهم أنهم ما لبثوا غير ساعة كذلك

كانوا يصرفون عن الحق في الدنيا وقال جل وعز : ﴿ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَٰذِبُونَ ﴾ [المجادلة : ١٨] وقال: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴿٢٣﴾ انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ ﴾ [الأنعام : ٢٣ – ٢٤].



س: هل في قولهم أنهم ما لبثوا غير ساعة ما يفيد نفيًا لعذاب القبر؟

ج: كلا بل عذاب القبر حق، أما عن توجيه كونهم قالوا: إنهم ما لبثوا غير ساعة فأقول، وبالله التوفيق: إن ذهبنا إلى أن قوله: ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ في الدنيا فلا إشكال، وإن حملنا قوله ﴿مَا لَبِثُوا۟﴾ على المكث في القبر فتوجيه قولهم بما حاصله أن عذاب الآخرة يُنسيهم ما كانوا فيه من عذاب القبر، والله أعلم.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى : ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ أي يحلف المشركون ﴿مَا لَبِثُوا۟ غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ ليس في هذا رد لعذاب القبر إذ كان قد صح عن النبي ﷺ من غير طريق أنه تعوذ منه وأمر أن يتعوذ منه فمن ذلك ما رواه عبد الله بن مسعود قال: سمع النبي ﷺ أم حبيبة وهي تقول: اللهم أمتعني بزوجي رسول الله وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية فقال لها النبي ﷺ: «**لقد سألت الله لآجال مضروبة وأرزاق مقسومة ولكن سليه أن يعيذك من عذاب جهنم وعذاب القبر**» في أحاديث مشهورة خرجها مسلم والبخاري وغيرهما وقد ذكرنا منها جملة في كتاب التذكرة.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾؟

ج: هذا ردٌّ على أهل الكفر والإجرام الذين أقسموا بالله كاذبين أنهم ما لبثوا في قبورهم غير ساعة، وما لبثوا في الدنيا غير ساعة فعندئذٍ يردُّ عليهم أهل الإيمان بالله ﷻ ورسله، وأهل العلم بكتاب الله ﷻ وسنن المرسلين، لقد لبثتم يا أهل الإجرام في قبوركم، ليس ساعة واحدة كما تزعمون – ولكنكم لبثتم فيها إلى يوم القيامة، فهذا يوم القيامة ولكنكم كنتم لا تعلمون في الدنيا أنه آتٍ لا ريب فيه، بل كذبتم به.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أورد الطبري بإسنادٍ حسن عن قتادة قوله: ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾ قال: هذا من مقاديم الكلام. وتأويلها: وقال الذين أوتوا الإيمان والعلم: لقد لبثتم في كتاب الله.

قال الطبري:

وقوله: ﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ يقول: فيما كتب الله مما سبق في علمه أنكم تلبثونه ﴿فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ﴾ يقول: فهذا يوم يبعث الناس من قبورهم ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ يقول: ولكنكم كنتم لا تعلمون في الدنيا أنه يكون، وأنكم مبعوثون من بعد الموت، فلذلك كنتم تكذبون.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِ ﴾ أي: فيرد عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة، كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا، فيقولون لهم حين يحلفون ما لبثوا غير ساعة: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ أي: في كتاب

الأعمال، ﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ﴾ أي: من يوم خلقتم إلى أن بعثتم، ﴿وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ﴾ اختلف في الذين أوتوا العلم فقيل الملائكة وقيل الأنبياء وقيل علماء الأمم وقيل مؤمنو هذه الأمة وقيل جميع المؤمنين أي يقول المؤمنين للكفار ردًّا عليهم لقد لبثتم في قبوركم إلى يوم البعث والفاء في قوله: ﴿فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ﴾ جواب لشرط محذوف دل عليه الكلام مجازه: إن كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ فَهَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ وَلَٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ ذكر جلَّ وعلا في هذه الآية الكريمة أن الكفار إذا بعثوا يوم القيامة، وأقسموا أنهم ما لبثوا غير ساعة يقول لهم الذين أُوتوا العلم والإيمان، ويدخل فيهم الملائكة، والرسل، والأنبياء، والصالحون: والله لقد لبثتم في كتاب الله إلى يوم البعث، فهذا يوم البعث، ولكنكم كنتم لا تعلمون.

وهذا المعنى الذي دلّت عليه هذه الآية الكريمة جاء موضحًا في سورة «يس» على أصحّ التفسيرين، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜ﴾ [يس: ٥٢].

والتحقيق أن هذا قول الكفار عند البعث، والآية تدلّ دلالة لا لبس فيها، على أنهم ينامون نومة قبل البعث، كما قاله غير واحد، وعند بعثهم أحياء من

تلك النومة التي هي نومة موت يقول لهم الذين أوتوا العلم والإيمان: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾، أي: هذا البعث بعد الموت، الذي وعدكم الرحمن على ألسنة رسله، وصدق المرسلون في ذلك، كما شاهدتموه عيانًا، فقوله في «يس»: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، قول الذين أوتوا العلم والإيمان، على التحقيق، وقد اختاره ابن جرير، وهو مطابق لمعنى قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَٱلۡإِيمَٰنَ لَقَدۡ لَبِثۡتُمۡ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِۖ﴾ الآية.

والتحقيق أن قوله هذا إشارة إلى ما وعد الرحمن وأنها من كلام المؤمنين، وليست إشارة إلى المرقد في قول الكفار: ﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَاۜۗ هَٰذَا﴾، وقوله: ﴿فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾، أي: فيما كتبه وقدره وقضاه. وقال بعض العلماء: أن قوله: ﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ الآية، من قول الكفار، ويدلّ له قوله في «الصافّات»: ﴿وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ٢٠ هَٰذَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ﴾ الآية.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ٥٧﴾.

ج: المعنى – والله أعلم –: فيوم القيامة لا ينفع أهل الشرك اعتذارهم الذين يقدمونه عما بدر منهم وصدر في الدنيا، وكذلك إذا طلبوا أن يرجعوا إلى الدنيا فلن يرجعوا ولن يقبل طلبهم ذلك.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: فيوم يبعثون من قبورهم ﴿لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾ يعني: المكذّبين بالبعث في الدنيا ﴿مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾، وهو قولهم: ما علمنا أنه

يكون، ولا أنا نُبعث ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ يقول: ولا هؤلاء الظلمة يُسترجعون يومئذٍ عما كانوا يكذّبون به في الدنيا.

وقال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال الله تعالى: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ﴾ أي: يوم القيامة، ﴿لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾ أي: لا ينفعهم اعتذارهم عما فعلوا، ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ أي: ولا هم يرجعون إلى الدنيا، كما قال تعالى: ﴿وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ﴾ [فصلت: ٢٤].

وقال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعۡذِرَتُهُمۡ﴾ أي لا ينفعهم العلم بالقيامة ولا الاعتذار يومئذ وقيل: لما رد عليهم المؤمنون سألوا الرجوع إلى الدنيا واعتذروا فلم يعذروا ﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾ أي ولا حالهم حال من يستعتب ويرجع يقال: استعتبته فأعتبني أي استرضيته فأرضاني وذلك إذا كنت جانيًا عليه وحقيقة أعتبته: أزلت عتبه.



س: وضح معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ٥٨ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٩ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ٦٠﴾.

ج: المعنى – والله أعلم–: ولقد سقنا في هذا الكتاب العزيز أمثلة كثيرة وضربناها للناس يستدلون بها على وحدانيتنا وعلى قدرتنا على كل شيءٍ، وعلى البعث بعد الموت، ولكن مع ذلك كله لم يؤمنوا بها ولم يصدقوا ولم يعتبروا، ولئن جئتهم يا رسول الله بآية معجزة وآية خارقة للعادة سواء معجزة

سأولها أو لم يسألوها طلبوها أم لم يطلبوها، ما آمنوا ولا صدقوا بل وصفوكم بأنكم مبطلون، متبعون للباطل والسحر والشعوذة، فهكذا يختم الله ﷻ على قلوب أهل الكفر هؤلاء، فلا يصل إليها خيرٌ، ولا يصل إليها إيمان ولا هدى، فاصبر على قضاء الله وقدره في هؤلاء، واصبر على جهالات هؤلاء وتكذيبهم لك فإن وعد الله ﷻ الذي وعدك به حق، وكل وعوده حق، سواء الوعد الذي وعدك بنصرك عليهم، أو الوعد الذي وعدك بانتقامه منهم ولا يستفزنك هؤلاء، ولا يخرجونك عن حالك، لا تُستنفر من قيل هؤلاء الذي لا يصدقون بوعدٍ ولا يقرون بثواب ولا بعقاب ولا بجنة ولا بنار، ولا يقرون لله ﷻ بالتوحيد.

وبنحو هذا قال أهل العلم.

قال الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يقول تعالى ذكره: ولقد مثلنا للناس في هذا القرآن من كل مثل احتجاجًا عليهم، وتنبيها لهم عن وحدانية الله. وقوله: ﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ﴾ يقول: ولئن جئت يا محمد هؤلاء القوم بآية، يقول: بدلالة على صدق ما تقول ﴿لَيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ يقول: ليقولنّ الذين جحدوا رسالتك، وأنكروا نبوّتك، إن أنتم أيها المصدّقون محمدا فيما أتاكم به إلا مبطلون فيما تجيئوننا به من هذه الأمور.

وقال في تأويل قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

يقول تعالى ذكره: كذلك يختم الله على قلوب الذين لا يعلمون حقيقة ما تأتيهم به يا محمد من عند الله من هذه العِبر والعظات، والآيات البيِّنات، فلا

يفقهون عن الله حُجة، ولا يفهمون عنه ما يتلو عليهم من آي كتابه، فهم لذلك في طغيانهم يتردّدون.

وقال في تأويل قوله تعالى : ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾.

يقول تعالى ذكره: فاصبر يا محمد لما ينالك من أذاهم، وبلّغهم رسالة ربك، فإن وعد الله الذي وعدك من النصر عليهم، والظفر بهم، وتمكينك وتمكين أصحابك وتُبّاعك في الأرض حقّ ﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ يقول: ولا يستخفنّ حلمك ورأيك هؤلاء المشركون بالله الذين لا يوقنون بالمعاد ولا يصدّقون بالبعث بعد الممات، فيثبطوك عن أمر الله والنفوذ لما كلّفك من تبليغهم رسالته.

وأورد الطبري بإسناد حسن عن قتادة: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾ قال: قال رجل من الخوارج خلف عليّ في صلاة الغداة: (وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ) [الزمر: ٦٥] فأنصت له عليّ رضي الله عنه حتى فهم ما قال؛ فأجابه وهو في الصلاة: ﴿ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴾.

ولكنه منقطع بين قتادة وعليٍّ لكن له شاهد يُحسَّن به أخرجه الطبري من وجهين عن علي بن ربيعة عن عليٍّ رضي الله عنه.

وقال ابن كثير رحمه الله**:**

يقول تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ ﴾ أي: قد بينا لهم الحق، ووضحناه لهم، وضربنا لهم فيه الأمثال ليتبينوا الحق ويتبعوه. ﴿وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ﴾ أي: لو رأوا أي آية كانت، سواء كانت باقتراحهم أو غيره، لا يؤمنون بها، ويعتقدون أنها سحر وباطل،

كما قالوا في انشقاق القمر ونحوه، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتۡ عَلَيۡهِمۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ ٩٦ وَلَوۡ جَآءَتۡهُمۡ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ [يونس: ٩٦، ٩٧]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٩ فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ﴾ أي: اصبر على مخالفتهم وعنادهم، فإن الله تعالى منجز لك ما وعدك من نصره إياك، وجعل العاقبة لك ولمن اتبعك في الدنيا والآخرة، ﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: بل اثبت على ما بعثك الله به، فإنه الحق الذي لا مرية فيه، ولا تعدل عنه وليس فيما سواه هُدَى يتبع، بل الحق كله منحصر فيه.

قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖۚ﴾ أي من كل مثل يدلهم على ما يحتاجون إليه وينبههم على التوحيد وصدق الرسل ﴿وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٖ﴾ أي معجزة كفلق البحر والعصا وغيرهما ﴿لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ﴾ يا معشر المؤمنين ﴿إِلَّا مُبۡطِلُونَ﴾ أي تتبعون الباطل والسحر ﴿كَذَٰلِكَ﴾ أي كما طبع الله على قلوبهم حتى لا يفهموا الآيات عن الله فكذلك ﴿يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾ أدلة التوحيد، ﴿فَٱصۡبِرۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقٌّۖ﴾ أي: صبر على أذاهم فإن الله ينصرك ﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ﴾ أي لا يستفزنك عن دينك ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ قيل: هو النضر بن الحارث والخطاب للنبي ﷺ والمراد أمته يقال: استخف فلان فلانًا أي استجهله حتى حمله على اتباعه في الغي وهو في موضع جزم بالنهي أكد بالنون الثقيلة فبني على الفتح كما يبنى الشيئان إذا ضم أحدهما إلى الآخر الذين لا يوقنون في موضع رفع ومن العرب من يقول: اللذون في موضع الرفع.

قال الشنقيطي رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

﴿فَٱصۡبِرۡ﴾ على ما أمرت به، وعلى دعوتهم إلى الله.

ولو رايت منهم إعراضًا، فلا يصدنك ذلك.

﴿إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ﴾ أي: لا شك فيه، وهذا مما يعين على الصبر، فإن العبد إذا علم أن علمه غير ضائع، بل سيجده كاملًا، هان عليه ما يلقاه من المكاره، وتيسر عليه كل عسير، واستقل من عمله كل كثير.

﴿وَلَا يَسۡتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ أي: قد ضعف إيمانهم، وقل يقينهم، فخفت لذلك أحلامهم، وقل صبرهم.

فإياك أن يستخفك هؤلاء، فإنك إن تجعلهم منك على بال، وتحذر منهم، وإلا استخفوك وحملوك على عدم الثبات، على الأوامر والنواهي.

والنفس تساعدهم على هذا وتطلب التشبه والموافقة.

وهذا مما يدل على أن كل مؤمن موقن رزين العقل يسهل عليه الصبر.

وكل ضعيف اليقين ضعيف العقل خفيفه.

فالأول بمنزلة اللب، والآخر بمنزلة القشور فالله المستعان

